الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم التـــــــــــــاريـخ

الرقم التسلسلي:...../.....

رقم التسجيل: 99476201

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

بعنـــــــوان:

ملاحظات أندري ميكال حول المجتمع و الاقتصاد في بلاد المغرب خلال القرن 4هـ/10 مـ

إعداد الطالب :

بن شريف إبراهيم

إشراف :

الأستاذ الدكتور الطاهر بونابي

مقدمة أمام لجنة المناقشة		
لقب و اسم الأستاذ	المؤسسة الجامعية	الصفة
د/ بولطيف لخضر	جامعة محمد بوضياف – المسيلة	رئيسا
أ– د/ بونابي الطاهر	جامعة محمد بوضياف – المسيلة	مشرفا و مقررا
د/ بن مجدوب جمال	جامعة محمد بوضياف – المسيلة	عضوا

السنة الجامعية: 2021/2020

شكر و عرفان

أتقدم بعظيم الشكر و عميق الامتنان إلى أستاذي :

الأستاذ الدكتور الطاهر بُونَابِي

الذي تكرم بقبول الإشراف على هذا البحث ، و غمرني من فضل علمه و غزير معرفته .

و يقتضي المقام ، أن أتوجه بالشكر و الامتنان لكل من كان لي سندا و عونا في هذا العمل ، داعيا الله أن يَعُم الجميع بموفور الصحة و العافية.

مقدمة

مقدمة:

كان التاريخ الإسلامي عامة و تاريخ المغرب الإسلامي خاصة محل اهتمام العديد من المستشرقين، فقد كرس العديد من كبار المستشرقين حياتهم العلمية لإحياء التراث الإسلامي في مرحلة أولى، ثم دراسة مختلف جوانبه وموضوعاته في مرحلة ثانية، ولا شك أن الفرنسي **أندري ميكال(1929- ...)** يُعد في الطبقة الأولى من الأوربيين المهتمين بالتراث الشرقي عموما و الإسلامي خصوصا.

أولا- أهمية الموضوع وإشكاليته:

تكمن أهمية الموضوع: **ملاحظات أندري ميكال حول المجتمع والاقتصاد في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن 4هـ/10 مـ**، من خلال مساهمة أندري ميكال في حقل الجغرافية البشرية في دار الإسلام، وهي المساهمة التي تضمنها عمله الموسوعي جغرافية دار الإسلامي البشرية حتى منتصف القرن 11 ميلادي، الذي يقع في أربعة أجزاء، والذي يعد أهم عمل في هذا الحقل إلى جانب تاريخ الأدب الجغرافي العربي للمستشرق الروسي **أغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي**.

تظهر أهمية كتاب جغرافية دار الإسلام البشرية حتى منتصف القرن 11 ميلادي، في الكم الهائل من نصوص الجغرافية العربية التي اطلع عليها أندري ميكال وهي نصوص متنوعة شملت الجغرافية العلمية، جغرافية البلدان والجغرافية الإقليمية التي عرفت بأدب المسالك والممالك، بالإضافة إلى اطلاعها على ما كتبه المستشرقون والمستعربون وخصوصا الفرنسيون منهم حول التاريخ الإسلامي في الفترة الوسيطة، وإلى غاية منتصف القرن 11 ميلادي تحديدا.

إن قراءة كتاب أندري ميكال حول الجغرافية البشرية لدار الإسلام تدفعنا إلى طرح تساؤلات عديدة بخصوص بلاد المغرب الإسلامي، وهي تساؤلات عديدة تفرضها طبيعة الموضوع الذي يتعلق بالاقتصاد والمجتمع في بلاد المغرب خلال القرن 4هـ/10 مـ: كيف

كان منظور أندري ميكال للمجتمع والاقتصاد في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن 4هـ/10 مـ ؟ وكيف كان يُنظر لإقليم المغرب في مؤلفات الجغرافية البشرية المشرقية؟ وكيف حددت كتب المسالك والممالك موقع بلاد المغرب الإسلامي وحدوده؟ وماهي مختلف المؤثرات المنهجية والمعرفية التي تركت أثرها على ملاحظات أندري ميكال حول بلاد المغرب الإسلامي ؟

ثانيا– دوافع اختيار الموضوع:

كان وراء اختياري لهذا الموضوع دوافع عديدة:

– إن هذا الموضوع جديد؛ فلم يسبق مناقشته ضمن حقل التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لبلاد المغرب الإسلامي.

– التعرف على رأي أندري ميكال في القضايا الاجتماعية والاقتصادية لبلاد المغرب الإسلامي، وهو موقف يجب التعرف عليه نظرا لمكانة أندري ميكال العلمية كأحد أبرز المستعربين في النصف الثاني من القرن العشرين.

– يفتح هذا الموضوع آفاقا جديدة فيما يتعلق بالتاريخ الاقتصادي والاجتماعي لبلاد المغرب الإسلامي، من خلال المنظور الغربي، بعدما اقتصرت دراسات هذا الحقل على مؤلفات الجغرافيين العرب.

ثالثا – المنهج:

اتبعت في انجاز هذا البحث على منهج يقوم على **استقصاء** ملاحظات أندري ميكال حول المجتمع والاقتصاد في بلاد المغرب من خلال عمله الموسوعي جغرافية دار الإسلام البشرية إلى غاية منتصف القرن 11 ميلادي، و**مطابقة** هذه الملاحظات على شكل **مقارنة ومقاربة** منهجية ومعرفية مع نصوص الجغرافية العربية والمدرسة الاستشراقية ومدرسة الحوليات، وهو منهج فرضته طبيعة الموضوع التي تقتضي جرد ملاحظات أندري ميكال ومطابقة مضمونها المنهجي والمعرفي مع المصادر والمدارس المختلفة التي تعرضت

لموضوع المجتمع و الاقتصاد في بلاد المغرب الإسلامي خلال الفترة الوسيطة، وفي القرن 4هـ/10 م تحديدا.

رابعا – الصعوبات:

واجهتني أثناء إنجاز هذا البحث صعوبات عديدة، تتعلق بطبيعة الموضوع، فهو موضوع جديد لم يسبق مناقشته، بالإضافة إلى الصعوبات المنهجية والمعرفية المتعلقة بالموضوع، فملاحظات أندري ميكال حول بلاد المغرب الإسلامي توزعت عبر أجزاء كتابه الأربعة، وهذا ما تطلب جهدا ووقتا كبيرين، علاوة على منهج أندري ميكال الشمولي الذي تعامل فيه أندري ميكال مع مختلف موضوعات الجغرافية العربية، هذا ما تطلب مني الاطلاع على عدد هائل من المصادر والمراجع التي تعرضت للجغرافية البشرية في دار الإسلام خلال الفترة الوسيطة.

خامسا– عرض الموضوع:

اتبعت في انجاز هذا البحث خطة تقوم على مقدمة وخاتمة وأربعة فصول، توزعت كمايلي:

– الفصل الأول حول مكانة المغرب الإسلامي في نص المسالك والممالك، تعرضت فيه لتطور الأدب الجغرافي العربي وخاصة نمط المسالك والممالك، هذا النمط الذي تعرضت نصوصه لموقع بلاد المغرب الإسلامي، ولكنها تعاملت معها بهامشية.

– الفصل الثاني حول موقع ملاحظات أندري ميكال بين شمول المصادر الإسلامية ومناهج المدارس الحديثة، وفيه قمت بمطابقة ومقاربة ملاحظات أندري ميكال مع المدرسة التاريخية الفرنسية في شقيها الاستشراقي والحولياتي، ومع المصادر الإسلامية التي ميزت بمنهجها الشمولي.

– الفصل الثالث حول المنظور الاجتماعي لأندري ميكال حول بلاد المغرب الإسلامي في القرن 4هـ/10مـ، وفيه ركزت على ملاحظات أندري ميكال حول البربر، المدن والحياة اليومية .

– الفصل الرابع خصصته لمنظور أندري ميكال الاقتصادي حول بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن4هـ/10 م، وفيه تناولت ملاحظات أندري ميكال حول مختلف أوجه النشاط الاقتصادي في بلاد المغرب الإسلامي، من زراعة، صناعة وتجارة، مع الإشارة إلى الموارد الطبيعية التي كانت تستغل في النشاطات الاقتصادية من مياه ومعادن.

سادسا – نقد و تحليل أهم المصادر و المراجع:

اعتمدت في إنجاز هذا البحث على مجموعة من المصادر و المراجع ، أهمها :

أ- المصادر:

1. المسالك والممالك (صورة الأرض) لابن حوقل النصيبي (تـ بعد 367هـ/977مـ)، ويُعد مصدرا ذا قيمة هامة في موضوع الاقتصاد والمجتمع في بلاد المغرب الإسلامي في القرن 4هـ/10م، لأن صاحبه زار بلاد المغرب ودون ملاحظات كثيرة، غير أنه يؤخذ على ابن حوقل تعاطفه الواضح مع الفاطميين.

2. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي (تـ380هـ/990مـ) للمقدسي، وهو مصدر هام أيضا لما تضمنه من معلومات عن بلاد المغرب خاصة فيما يتعلق بالأنشطة الاقتصادية، غير أنه يعاب على صاحبه أنه لم يزر المغرب وهذا بالتأكيد يقلل من قيمة معلوماته، بالإضافة إلى تهميشه لبلاد المغرب الإسلامي في كتابه.

3. معجم البلدان، لياقوت الحموي (تـ626هـ/1228مـ)، وهو مصدر تضمن معلومات قيمة حول البربر، رغم النظرة السلبية نحوهم إضافة إلى أنه كتب في القرن السابع الهجري / الثالث عشر ميلادي.

4. تاريخ ابن خلدون المسمى: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، لعبد الرحمن بن خلدون (ت808هـ/1406م، وقد تضمن معلومات قيمة عن طبائع و صفات البربر و حمل نظرة إيجابية عنهم رغم أن هذا الكتاب أُلف في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر ميلادي.

ب- المراجع :

1. جغرافية دار الإسلام البشرية حتى منتصف القرن الحادي عشر ميلادي لأندري ميكال، بأجزائه الأربعة، وهو أهم مرجع في هذه الدراسة، حيث استقصيت منه ملاحظات المؤلف عن المجتمع والاقتصاد في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن 4هـ/10 م، غير أن هذه الملاحظات كانت متناثرة بسبب المنهج الشمولي لصاحبه .

2. تاريخ الأدب الجغرافي العربي لأغناطيوس ليوليانوفتش كراتشكوفسي في جزئه الأول، وهو أهم كتاب في تاريخ الأدب الجغرافي العربي، تضمن معلومات قيمة عن الجغرافية البشرية العربية خاصة المدرسة الكلاسيكية للقرن العاشر ميلادي والتي لها علاقة وطيدة بموضوع البحث.

3. كتاب الزمان التاريخي (من التاريخ الكُلي إلى التواريخ الفعلية)، وكتاب حفريات الاستشراق (نقد العقل الاستشراقي) لسالم يفوت، وهما مرجعان تضمنا معلومات قيمة عن المدرسة التاريخية الفرنسية سواء مدرسة الاستشراق أو مدرسة الحوليات.

الفصل الأول :

المغرب الإسلامي في نص المسالك و الممالك

(الماهية – النمط – الموقع – الهامشية)

1/ ماهية الأدب الجغرافي العربي.

2/ تطور نمط جغرافية المسالك و الممالك.

3/ موقع بلاد المغرب الإسلامي في نص الممالك و الممالك.

4/ هامشية بلاد المغرب في نص المسالك و الممالك.

في هذا الفصل سنتعرض لمكانة المغرب الإسلامي في نص المسالك و الممالك ، فبلاد المغرب باعتبارها إقليما من أقاليم دار الإسلام ، أخذت حيزا من الأدب الجغرافي العربي خاصة فيما عرف بنمط المسالك و الممالك، فكيف يمكن تعريف الأدب الجغرافي العرب؟ و كيف تطور نمط المسالك و الممالك خلال القرن الرابع الهجري / العاشر ميلادي؟ و كيف تناولت كتب هذا النمط الحدود الجغرافية لبلاد المغرب؟

1/ ماهية الأدب الجغرافي العربي:

كان تحديد مفهوم للأدب الجغرافي الإسلامي موضوع نقاش بين دارسي الجغرافيا الإسلامية في العصور الوسطى، وقد ظهرت عدة محاولات لضبط هذا التعريف، ولعل من أهم من حاول ذلك المستشرق الروسي أغناطيوس يوليانوفيش كراتشكوفسكي الذي اعتبر أن الأدب الجغرافي هو " تاريخ الأنماط الأدبية المرتبطة بعلم الجغرافيا"[1]، ويؤيد هذا الرأي أندري ميكال الذي يعزو نجاح الجغرافيا العربية إلى كونها فنا بين سائر الفنون الأدبية[2]، فالمدرسة الاستشراقية تصر إذا على اعتبار التراث الجغرافي الإسلامي في العصور الوسطى تراثا أدبيا، رغم اعترافها بالنجاحات العلمية التي حققتها هذه الجغرافيا بمختلف فروعها[3].

ونجد أن الكثير من الباحثين من غير الأوروبيين يرى أيضا أن هذا التراث الجغرافي هو مزيج من الأدب والجغرافية، فناصر عبد الرزاق الموافي يرى أن الأدب الجغرافي الإسلامي يقدم الأدب على الجغرافية، وهو أدب يتناول الجغرافيا من زاوية أدبية، تلعب فيها شخصية الكاتب دورا مؤثرا[4]، ويرى أن الرحالة الذي دون وقائع رحلته كان يعتقد اعتقادا جازما أنه

---

(1) اغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين هاشم،ج1، مراجعة ايغور بليايف، منشورات جامعة الدول العربية، القاهرة، مصر، 1963، ص 14.

(2) أندري ميكال: جغرافية دار الإسلام البشرية حتى منتصف القرن الحادي عشر، ج1، ق1، ترجمة إبراهيم خوري، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، سوريا، 1983، ص 121.

(3) من ذلك أن كراتشكوفكسي يعتبر التجربة التي أجراها بعض الفلكيين المسلمين لقياس خط منتصف النهار سنة 827 مـ دليلا على التطور الذي بلغته الحضارة الإسلامية في مجالي الرياضيات والجغرافيا، أنظر:

اغناطيوس يولينافتش كراتشكوفسكي، المرجع السابق، ص ص: 83-84

(4) عبد الحق بلقيدوم،**الأدب الجغرافي العربي (المفهوم، الأنماط والتطور)**، مقال منشور في الموقع الالكتروني لمجلة أنفاس: www.anfasse.org.

يكتب في الأدب بمعناه الواسع، ذلك الأدب الذي كان يعني عند العرب الأخذ من كل شيء بطرف[1]،غير أننا نرى أن هذا التعريف غاب عنه التقدير السليم، فهذا التراث وإن غلبت عليه الروح الأدبية، إلا أنه لم يخل من منجزات علمية هامة باعتراف المستشرقين.

وقد ظهرت محاولات أخرى لتعرف الأدب الجغرافي تصب كلها في هذا الإطار المفاهيمي، منها أن الأدب الجغرافي هو " تلك النصوص الأدبية وغير الأدبية التي شكلت الجغرافية جزءا من بنيتها" أو هو " ذلك التراث الضخم من النصوص سواء كانت كتبا أو رسائل أو تقارير مهمات أو رحلات أو حتى إشارات كتبها الأدباء أو رحالون أو تجار أو لغويين أو فلكيون عن مواضيع شكلت الجغرافيا جزء لا يتجزأ من مضمونها"[2].

2/ تطور نمط المسالك و الممالك:

لم تكن المعرفة الجغرافية جديدة على البيئة العربية، فبعض الآراء ترجعها إلى الحياة البدوية التي كان العرب يعيشونها في تلك الفترة وما فرضته عليهم من ضرورة تحديد مواقع الكلأ والمياه وكذا الاهتداء بالنجوم أثناء السير ليلا[3]، وتؤكد آراء أخرى على هذا التحليل، فالمستشرق الفرنسي غوستاف لوبون Gustave Le Bon (1841-1931) ، يرى أن العرب ومنذ العصر الجاهلي عرفوا بحب الرحلة والتنقل، مستدلا بقوافل العرب التي كانت تصل إلى مناطق بعيدة في إفريقيا وآسيا، ولم يكن بعد المسافات عائقا أمامهم، ومنذ السنوات الأولى لتكوين الدولة الإسلامية، كان المسلمون على علاقات تجارية بجهات كان الأوروبيون يعرفونها بالكاد كالصين وبعض جهات روسيا والمناطق غير المكتشفة من إفريقيا[4]، وقد كان للعرب تقويمهم الخاص قبل الإسلام من اثنا عشر شهرا يبدأ بشهر ناتق وهو المقابل لشهر محرم في التقويم الإسلامي[5] وأدى الاطلاع على كتب اليونان والهنود والرومان في مجال الجغرافيا إلى زيادة الرغبة في الاكتشاف عند المسلمين، فكان نشاطهم التجاري مصحوبا باكتشافات جغرافية في غاية الأهمية في إفريقيا الاستوائية وصلت قوافلهم

---

(1) عبد الحق بلقيدوم: المرجع السابق.

(2) نفسه.

(3) كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ج4، ترجمة عبد الحليم النجار، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط5، ب ت، ص 232.

(4) Gustave Le Bon: La civilisation des Arabes , éditions CASBAH, Algerie,2013, 425.

(5) أندري ميكال: جغرافية دار الإسلام البشرية، ج 4، ق2، ص 509.

وسفنهم إلى زيمبابوي ومدغشقر[1].

ومع توسع حركة الفتوح الإسلامية منذ القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي إلى توسع الاهتمامات الجغرافية للمسلمين وساعدهم في ذلك" ميلهم إلى الوصف المحدد الدقيق"[2]، وبامتداد رقعة الدولة الإسلامية إلى أرجاء واسعة زادت حاجة الإدارة في الدولة الإسلامية، خاصة في العصر العباسي(132هـ/656هـ – 750مـ/1258مـ) ، فقد أدرك الخلفاء العباسيون أهمية البريد في الحفاظ على دولتهم، فكان صاحب البريد شخصية هامة في النظام الإداري للدولة، لما له من دور في جمع المعلومات السياسية والاقتصادية الضرورية[3]، وسيكون لتنظيم البريد دور مفيد في تطور الجغرافية الإسلامية فيما بعد خاصة ما سيعرف بأدب المسالك والممالك أو الجغرافية الأدبية الوصفية[4].

لكن هذه الجغرافية ستعرف انطلاقتها الحقيقية منذ بداية القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، مع تأسيس بيت الحكمة في بغداد على يد الخليفة العباسي هارون الرشيد(193/170هـ–809/786مـ) وابنه المأمون(218/198هـ–833/813مـ) الذي ازدهرت حركة ترجمة المؤلفات اليونانية واللاتينية القديمة إلى العربية، وكان كتاب بطليموس ومارينوس الصوري في الجغرافيا أحد هذه المؤلفات، وسيكون لكتاب بطليموس أثر بالغ على تطور الجغرافية الإسلامية في القرون التالية[5]، وهذا ما جعل المدرسة الاستشراقية تكاد تتفق على الرأي القائل بأن الجغرافية الإسلامية " سليلة الخلافة العباسية"[6]، وستكون الجغرافية الرياضية والفلكية المستفيد الأول من حركة الترجمة هذه، فقد ظهرت مؤلفات عربية في علم الأطوال والأعراض وعلم تقويم البلدان وفي وصف الكون، وأخرى اختصت بعلم عجائب البلدان[7]

---

(1) عبد الرحمان حميدة، أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1416 هـ/1995 م، ص 63.

(2) كارل بروكلمان: المرجع السابق، ص 333.

(3) عبد الرحمان حميدة: المرجع السابق، ص 50.

(4) كارل بروكلمان: المرجع السابق، ص 333.

(5) عبد الرحمان حميدة: المرجع السابق، ص 56.

(6) أندري ميكال: المرجع السابق، ص 95.

(7) عبد الرحمان حميدة: المرجع السابق، ص 58.

أما من ناحية التأليف في الأدب الجغرافي العربي، فتعود بدايته إلى كتاب ابن خرداذبة تـ272هـ/885م[1]، الذي ألف كتاب المسالك والممالك، ثم توالت الكتابة في هذا الفن الجغرافي فظهر بعده كتاب ابن رسته المسمى كتاب الأعلاق النفيسة وهو كتاب موجه للأغراض الإدارية رغم تنوع معلوماته، ثم وضع قُدامة بن جعفر تـ 320 هـ/923مـ كتابا سماه " كتاب الخراج وصناعة الكتابة" وهو موجه أيضا للأغراض الإدارية وتلبية حاجيات دواوين الدولة العباسية[2]، يضاف إلى ذلك ملاحظة في غاية الأهمية وهي أن هذا النمط من المؤلفين كانوا موظفين في الجهاز الإداري للدولة العباسية، قليلي السفر وكانوا يحصلون على معلوماتهم من الرحالة أو التجار أو من المصادر الرسمية للدولة ومن بعض المؤلفات[3]، ولهذه الأسباب ستكون مساهمة هذه المؤلفات متواضعة في الحقل الجغرافي.

لكن الجغرافية الوصفية أو نمط المسالك والممالك سيعرف ازدهارا كبيرا منذ القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، نتيجة التأثير الذي مارسته الثقافات الهندية والفارسية واليونانية نتيجة حركة الترجمة المستمرة منذ عهد الرشيد والمأمون، وستظهر العديد من المؤلفات في نمط المسالك والممالك، التي سيبرز فيها التأثير العلمي للكتب الجغرافية المترجمة، وينسب كراتشكوفسكي وبروكلمان هذا النمط إلى أبي زيد **البلخي (235/322هـ-849/934مـ)** حتى أنه وصف بمؤسس "المدرسة الكلاسيكية" في الجغرافية الإسلامية[4]، ثم ظهر مؤلف آخر نفس النمط لأبي إسحاق **الإصطخري (بعد 340هـ/952مـ)**، الذي وصف بأنه أول ممثل حقيقي لمدرسة البلخي الكلاسيكية[5] في مؤلفه الذي حمل أيضا عنوان " المسالك والممالك"، وتلاه أبو القاسم **ابن حوقل (بعد 367هـ/977مـ)** اعتبره بعض المستشرقين وريث الإصطخري، كونه وضع كتاب المسالك والممالك والذي يحمل عنوانا ثانيا

---

(1) يرجح كراتشكوفسكي سنة 300هـ/912مـ كتاريخ لوفاة ابن خردذابه، أما أندري ميكال فيرجح تاريخ وفاته نحو سنة 280 هـ/893 مـ، أنظر:

الأدب الجغرافي العربي، ج 1، ص 156.

جغرافية دار الإسلام البشرية، ج 1، ق1، ص34.

(2) أندري ميكال: المرجع السابق، ص 67-68.

(3) المرجع نفسه، ص 68.

(4) أغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي، المرجع السابق، ص 197.

(5) أندري ميكال، المرجع السابق ، ج3، ق1، ص 53.

هو " صورة الأرض" الذي استغرق في كتابته عشرين عاما مما يجعله غنيا بالمعطيات الجغرافية حول الأقاليم الاسلامية[1]، وأخيرا **شمس الدين المقدسي (380/360هـ-990/947مـ)**، صاحب كتاب " أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" الذي يعده أندري ميكال قمة ما وصل إليه نمط الممالك والمسالك[2].

إن أهم ما ميز نمط المسالك والممالك منذ القرن التاسع الميلادي /الرابع الهجري، أن كتاب هذا النمط وعلى عكس سابقيهم، كان معظمهم من الرحالة الذين جابوا أقطار العالم الإسلامي، ولعل ذلك كما يقول ابن حوقل كان حرصا على الأمانة العلمية " خوفا من غثاثة الناقلين وكذب المسافرين"[3]، ومثل المقدسي الذي كتب في مقدمة مصنفه أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم:" وما تم لي جمعه إلا بعد جولاني في البلدان ودخولي أقاليم الإسلام ولقائي العلماء وخدمتي الملوك ومجالستي القضاة ودرسي على الفقهاء واختلافي إلى الأدباء والقراء وكتبة الحديث ومخالطتي الزهاد والمتصوفين، وحضور مجالس القصاص والمُذكرين مع لزوم التجارة في كل بلد والمعاشرة مع كل أحد، والتفطن في هذه الأسباب بفهم قوى حتى عرفتها، ومساحة الإقليم بالفراسخ حتى أتقنتها، ودوراني على التخوم حتى حررتها، وتنقلي إلى الأجناد حتى عرفتها، وتفتيشي عن المذاهب حتى علمتها، وتفطني في الألسن والألوان حتى رتبتها"[4]، فهذا النص في غاية الأهمية لأنه يبين المنهج الذي اتبعه مؤلفو هذا النمط، وهو منهج كما يوضح نص المقدسي استقصائي لم يطمئن صاحبه سوى للمعاينة الميدانية مما يضفي على معلوماتهم قيمة علمية كبيرة.

3/ موقع بلاد المغرب الإسلامي في نص المسالك والممالك:

احتلت الجغرافية الإقليمية حيزا معتبرا في كتابات الجغرافيين المسلمين على الأقل منذ القرن الرابع الهجري /التاسع الميلادي، ولعل عناوين الكثير من المصنفات الجغرافية خير دليل على أن الدراسة الإقليمية كانت حاضرة بقوة في أذهان من تصدوا للكتابة الجغرافية، ولنستدل على ذلك يكفي أن نذكر عنوان كتاب البلخي " صورة الأقاليم " وكتاب المقدسي

---

(1) أندري ميكال ن المرجع السابق ، ج3 ، ق1، ص ص: 59،60.

(2) المرجع نفسه، ص 60.

(3) عبد الرحمان حميدة: المرجع السابق، ص 75.

(4) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ط3،1411هـ/1991مـ، ص8.

" أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم".

لكن الجغرافيين المسلمين، وفي معرض دراستهم لأقاليم بلاد الإسلام، تأثروا بالنظرية اليونانية التي قسمت العالم إلى سبعة أقاليم موزعة على شكل أشرطة موازية لخط الاستواء ومرتبة من الشمال إلى الجنوب[1]، ورغم الاختلاف في أصل هذه النظرية[2]، إلا أنها مارست تأثيرا كبيرا على التراث الجغرافي الإسلامي في العصر الوسيط.

لكن ما يلاحظ أن الجغرافيين المسلمين قسموا الأقاليم استجابة إلى شساعة مملكة دار الإسلام، فالإصطخري، قسم دار الإسلام إلى عشرين إقليما، وابن حوقل اثنين وعشرين إقليما، أما المقدسي فقد قسمها إلى أربعة عشر إقليميا؛ ستة منها عربية ومن بينها إقليم المغرب، وثمانية منها " أعجمية"[3]، والمقدسي – كما يبدو بوضوح– يعتمد على معيارين في تقسيمه؛ الدين واللغة.

أما بالنسبة لإقليم المغرب في هذه التقاسيم، فهو عند الإصطخري ضمن الأقاليم العربية الستة ويقسمه إلى إقليمين، الإقليم الشرقي الذي يمتد من برقة إلى المغرب ، والإقليم الغربي الذي يضم الأندلس[4]، ويحدد الإصطخري بلاد المغرب بدقة، فيجعل حدها الشرقي برقة وشمالا البحر المحيط (البحر الأبيض المتوسط)، ومن الغرب البحر المحيط (المحيط الأطلسي) وجنوبا الصحراء الكبرى التي أشار إليها بلفظ رمل[5]، أما الأندلس فيجعل حدها بين البحر وبلاد الكفر كبلاد الإفرنجية وبلاد الجلالقة[6].

و في نص صورة الأرض فابن حوقل، وبعد أن يشير إلى حوض المتوسط (بحر المغرب) بشقيه الشرقي والغربي، ثم يمضي في التحديد الجغرافي لبلاد المغرب، فيعتبر

---

(1) محمد محمود محمدين: مفهوم الإقليم وأسلوب دراسته عند عند المقدسي، بحوث المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول، المجلد 3، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، 1404هـ/1984م، ص343.

(2) يرى كراتشكوفسكي أن الفرس هم من قسموا العالم إلى سبعة أقاليم عرفت بالكمشورات السبع وليس الإغريق، بينما يربطها الجغرافيون المسلمون بما جاء في القرآن الكريم عن السماوات السبع، أنظر:
محمد محمود محمدين: المرجع السابق، ص 343.

(3) محمد محمود محمدين: المرجع السابق، ص344.

(4) مسالك الممالك (صورة الأرض)، مطبعة بريل، ليدن، هولندا، 1927، ص 36.

(5) الإصطخري :المصدر السابق ، ص 36–37.

(6) نفسه، ص 37.

الإسكندرية والواحات حده الشرقي، بينما يعتبر بلاد النوبة و أودغست وأرض غانة حده الجنوبي، بالإضافة إلى حدوده المعروفة غربا وهي المحيط الأطلسي وشمالا البحر الأبيض المتوسط اللذين سماهما ابن حوقل بالبحر المحيط، بالإضافة إلى الأندلس التي يجعلها أيضا في "جملة المغرب"[1]، والملاحظ هنا التطابق شبه التام في التحديد الجغرافي لبلاد المغرب بين الإصطخري وابن حوقل.

أما المقدسي، فإنه لم يحدد بلاد المغرب جغرافيا، غير أنه جعل حدها من برقة وضم إليها الأندلس[2]، والمقدسي ينفرد عن سابقيه بأن قسم بلاد المغرب إلى أقاليم وجعل لكل إقليم قصبة أي عاصمة وهي، برقة، افريقية وعاصمتها القيروان، تاهرت، سجلماسة، فاس، السوس الأقصى، ثم صقلية وأخيرا الأندلس[3].

وجعل **البكري(تـ 487هـ/1094مـ)** حدود افريقية من برقة شرقا إلى طنجة غربا[4]، ومن البحر شمالا (يقصد البحر الأبيض المتوسط) إلى الرمال (يقصد الصحراء الإفريقية الكبرى)[5]. وهو بذلك لا يجعل الأندلس جزء من بلاد المغرب.

ونجد تقسيما آخر لبلاد المغرب في كتاب الزهري (توفي بعد)، الذي قسم بلاد المغرب إلى ثلاث أقاليم أو أصقاع حسب تعبيره، وهي إفريقية التي تمتد من برقة إلى جبال الونشريس (وانشريس) ومن البحر الأبيض المتوسط إلى جبال واركلان التي يقصد بها ورقلة[6]، والإقليم الثاني هو المغرب الذي يمتد من جبال الونشريس إلى إقليم السوس، وينتهي شمال بمضيق جبل طارق[7]، ويجل اقليم السوس ثالث هذه الأقاليم وهو الذي يمتد من جبال درن إلى المحيط الأطلسي وينتهي عند حدود الصحراء الإفريقية الكبرى[8]،

---

(1) ابن حوقل : صورة الأرض، مطبعة بريل، ليدن، هولندا، 1938، ص 60-63.

(2) المقدسي: المصدر السابق، ص 26.

(3) نفسه، ص26.

(4) أبوعبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري: المسالك والممالك، تحقيق جمال طلبة، ج2، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1424هـ/2003 مـ، ص 193.

(5) نفسه، ص193.

(6) دولوس برامون، **المغرب من خلال كتاب الجغرافيا لمحمد الزهري**، ترجمة فرحات الدشراوي، مجلة دارسات اندلسية، تونس، العدد 3، جمادي الأول 1410هـ/ديسمبر 1989مـ، ص 43.

(7) نفسه، ص 46.

(8) نفسه، ص ص: 50،51.

ويلاحظ على هذا التقسيم أنه أفرد السوس كإقليم مستقل.

إجمالا، يمكن القول أن هناك ما يشبه الإجماع بين الجغرافيين المسلمين حول حدود بلاد المغرب، رغم بعض الاختلافات بينهم في فيما يتعلق بالأندلس وصقلية، غير أن هناك قضية أخرى تثيرها مؤلفات الجغرافيين المسلمين وأشار إليها أندري ميكال، وهي ما يتعلق بمكانة المغرب في كتابات هؤلاء الجغرافيين.

4/ هامشية المغرب في كتب المسالك والممالك:

اعتبر أندري ميكال أن جغرافيي المشرق الإسلامي لم يهتموا ببلاد المغرب في كتاباتهم بسبب موقعه في " هامش دار الإسلام"[1]، مستندا في ذلك لعبارة ابن حوقل في تبريره لحدود دار الإسلام، فقد كتب ابن حوقل بالنص: " وإنّما تركت في ذكر طول الإسلام حد المغرب إلى الأندلس لأنه كالكُم في الثوب، وليس في شرقيي المغرب ولا في غربييه إسلام"[2]، لقد اعتبر أندري ميكال هذه العبارة دليلا على تهميش الجغرافيين المشارقة لبلاد المغرب، لكن العبارة واضحة في معناها، فابن حوقل يعتبر أن بلاد الإسلام تنتهي عند المغرب والأندلس لأنهما الحد الفاصل بين دار الإسلام ودار الكفر، ولعل أندري ميكال يسند رأيه بعبارة أخرى لجغرافي آخر وهو المقدسي الذي وصف إقليم المغرب بأنه:" **بعيد الأطراف، كثير المفاوز، صعب المسالك كثير المهالك، في زاوية الإسلام موضوع، وبعضه خلف البحر مقطوع** "[3]، فالمقدسي هنا يشير إلى الصعوبات التي تواجه أي جغرافي يتصدى للرحلة إلى المغرب ولعل أولها البعد خاصة مع صعوبة المواصلات وأخطار الطريق، ولعل وصفه البديع لأهم حواضر بلاد المغرب دليل على مقصده، فالأندلس الفاضلة العجيبة، وتاهرت الطيبة النزيهة، وطنجة البلدة البعيدة، وسلجماسة المختارة الفريدة، وصقلية الجزيرة المفيدة[4]، هذا الوصف يبين بوضوح أن حواضر المغرب الإسلامي كانت معروفة ومشهورة في المشرق، لذلك كانت المعلومة حول هذه الحواضر متوفرة لدى من دونوا الأدب الجغرافي من المشارقة الذين لم يرحلوا إليها.

---

[1] أندري ميكال، المرجع السابق، ج 3، ق1، ص 47.

[2] ابن حوقل: المصدر السابق، ص 17.

[3] المقدسي: المصدر السابق، ص 216.

[4] نفسه: ص 215.

بقيت نقطة أخيرة تتعلق بالأوضاع السياسية في بلاد المغرب خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي؛ فأندري ميكال يعتبر القرن الرابع الهجري فترة المواجهة بين الخلافة الفاطمية في مصر والأموية في الأندلس، وكان الغرب الإسلامي ساحة هذه المواجهة، وكان بربر زناتة وصنهاجة وقود هذا الصراع ومادته[1]، ورغم اعترافه بالطابع الإيديولوجي لهذا الصراع (الفاطميون الشيعة في مواجهة الأمويين السّنة)، إلا أنه لا يغفل الدوافع الاقتصادية لهذا الصراع، حيث يربطه برغبة الخلافتين الأموية والفاطمية في السيطرة على الطرق التجارية الرئيسية خاصة طريق القوافل والذهب التي تمر عبر بلاد المغرب[2]، ويبدو أن أندري ميكال قد استند في نظرته هذه على ما دونه ابن حول بشأن الصراع بين الأمويين و الفاطميين من أجل السيطرة على بلاد المغرب.

---

[1] أندري ميكال: الإسلام وحضارته، ترجمة: زينب عبد العزيز، مراجعة: كمال الدين الحناوي، منشورات المكتبة العصرية، لبنان، ب ت، ص 145.

[2] أندري ميكال: الإسلام و حضارته ، ص 145.

الفصل الثاني:

موقع ملاحظات أندري ميكال بيّن شمول المصادر الإسلامية و مناهج المدارس الحديثة

1/ موقع منظور أندري ميكال حول الجغرافية البشرية ببلاد المغرب في المدرسة التاريخية الفرنسية :

أ/ المؤثر الإغريقي(الاستشراق).

ب/ مؤثر مدرسة الحوليات.

2/ موقع منظور أندري ميكال حول الجغرافية البشرية ببلاد المغرب في المصادر الإسلامية:

أ/ بنية المصادر العربية (الإطار و المؤثر).

ب/ مؤثر المنهج الشمولي في الجغرافية العربية (المسالك و الممالك).

في هذا الفصل، سنحاول مطابقة الملاحظات الاجتماعية والاقتصادية التي أدلى بها أندري ميكال حول بلاد المغرب مع مصادر أصلتها في الجغرافية العربية و التي اعتمد عليها خاصة المقدسي وابن حوقل، ومع المدارس التاريخية الحديثة التي عاصرها وتأثر بها ، ونذكر خاصة المدرسة الاستشراق و مدرسة الحوليات،

وستكون هذه المطابقة من شقين؛ منهجية من خلال المقارنة بين منهج أندري ميكال والمناهج التي اتبعتها المدارس المذكورة، ومطابقة معرفية من خلال مقارنة ملاحظات أندري ميكال مع ما توصلت إليه هذه المدارس من نتائج.

ولد أندري ميكال بفرنسا سنة 1929 ، و يُعَرف في الأوسطا العلمية على أنه " مؤرخ و مستعرب فرنسي مختص في اللغة و الأدب العربي[1] ، تقلد مناصب علمية رفيعة ، فقد انتخب أستاذا لكرسي الأدب العربي في كلية فرنسا Collège de France سنة 1978 ، ثم تولى منصب مدير المكتبة الوطنية بباريس سنة 1984 ، و هو أول مستعرب يتولى هذا المنصب ، فأين يمكن أن نصنف أندري ميكال؟ و أي مدرسة كان لها التأثير على منهجه؟

1/ موقع منظور أندري ميكال حول الجغرافية البشرية ببلاد المغرب في المدرسة التاريخية الفرنسية (الاستشراق – الحوليات):

أ / المؤثر الإغريقي (الاستشراق):

يرى عبد الله العروي أن الاستشراق فرع من فروع المعرفة التاريخية موحد في موضوعه الذي هو الشرق، لكنه متنوع في مسالكه ومناهجه، غير أنه يعتبر أن وجود الاستشراق بحد

[1] تعرض أندري ميكال لمحنة قاسية أثناء عمله في مصر ، فقد ألقي عليه القبض و سُجن لمدة مائة و أربعة و ثلاثين يوما بسبب اتهامه بالتجسس ، و رغم الصدمة التي تعرض لها ، إلا أن ذلك لم يزده إلا حبا و تعلقا بالتراث العربي ، أنظر:

أندري ميكال : وجبة المساء (يوميات دبلوماسي فرنسي في سجن مصري) : ترجمة : رشا صالح ، منشورات المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، مصر ط1 ، 2015.

ذاته يعتبر إشكالا مثيرا[1] ، هذا الإشكال يعتبره منهجيا، فهو يستغرب أن ينظر" جمهور المسلمين" إلى الاستشراق بعين المعارضة والرفض لكل دراسة استشراقية عن الاسلام، فقط لأنها تطبق المناهج المعاصرة على التاريخ الإسلامي[2].

لكن هذا الموقف يجد من يعارضه، فهناك من الباحثين من بعتبر وجود الاستشراق إشكالا، لكن بسبب المناهج المعاصرة التي صارت تطبق على كل الحقول المعرفية واستفاد منها حقل التاريخ الإسلامي، وإنما بسبب الرؤية الشرقية.

هذه الرؤية التي تعني " صورة الآخر، الإسلام، العرب وسائر الشعوب غير الأروبية في أوربا و الغرب "[3] ماهي إلا انعكاس للنظرة العنصرية التي يرى بها الغرب كل العوالم التي تقع خارج دائرته، ويذهب ادوار سعيد بعيدا في هذا الاتجاه، فيعتبر أن الرؤية الاستشراقية لا تقتصر على الباحثين المحترفين (المستشرقين)، بل هي "ملكية شائعة لكل الغربيين الذين فكروا في أمر الشرق"[4]، و يصل الأمر إلى وصف الاستشراق بأنه " جهاز ثقافي ينحصر في العدوان والنشاط وإصدار الأحكام، وفرض الحقائق والمعرفة، كأن الشرق وجد من أجل الغرب" ، ويعتبر أن عدد كبيرا من المستشرقين " كان موقفهم إزاء المادة التي يتناولونها إما موقفا أبويا أو موقفا ينم عن استعلاء وتفضل صريح "[5]، فهذه الرؤية لم تكن حكرا على طبقة أروبية بعينها بل كانت شائعة حتى في أوساط التيارات الفكرية التي توصف أنها أكثر تحررا كالتيار الماركسي، وهنا يمكن أن نسوق مثالين؛ الأول لكلاوديو شانشيز ألبرونز Claudio Sanchez Alboronz وهو مفكر مارسي شغل منصب رئيس حكومة

---

(1) عبد الله العروي : مفهوم التاريخ (الألفاظ و المذاهب ، و المفاهيم و الأصول) ، ج1 ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط5 ، 2012 ، ص 205.

(2) نفسه ، ص ص: 206،207.

(3) سالم يفوت: حفريات الاستشراق (نقد العقل الاستشراقي) ،ط1، منشورات المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1989، ص 7.

(4) ادوارد سعيد: الاستشراق (المفاهيم الغربية للشرق)، ترجمة محمد عناني، دار رؤية للنشر والتوزيع ، ط1، القاهرة، مصر، 2006، ص 137.

(5) نفسه: ص 322.

الجمهوريين أثناء الحرب الأهلية في اسبانيا (1936–1939)، هذا الأخير يرجع سبب تخلف اسبانيا إلى الفتح الإسلامي الذي أدى إلى دخول " العقلية المتحجرة " إلى اسبانيا، ويرى أن كل ما حققته الحضارة الإسلامية في الأندلس من انجازات يعود إلى اختلاط العرب الفاتحين بالإسبان و غلبة الدم الاسباني عليهم[1]، وهو كما يظهر بوضوح تفسير عرقي عنصري لا يسلم أما النقد المنهجي السليم، والمثال الثاني الذي يمكن أن يُساق هنا هو عن كارل ماركس الذي اعتبر الاستعمار مرحلة ضرورية يجب أن تعبرها المجتمعات الشرقية للوصول إلى الاشتراكية، فالتطور التاريخي الحتمي حسب ماركس يجب أن يمر بالرأسمالية بعد الرق والإقطاع، لذا كان الاستعمار ضرورة تاريخية لهذه المجتمعات حتى تصل إلى المرحلة الاشتراكية[2].

إن لهذه الرؤية الأروبية السلبية اتجاه ماهو غير أروبي جذور عميقة في التاريخ، فقبيل وفاته سنة 735 م، ومع الصدى الذي حققته فتوحات المسلمين في اسبانيا وجنوب فرنسا، كتب بيد المُبجل Vénérable Bede وهو رجل دين مسيحي عن العرب المسلمين ما نصه: " في ذلك الوقت قام الوباء الموجع المتمثل بالسراسنة[3] (المسلمين) بتخريب مملكة بلاد الغال، بعد مجازر أليمة وبائسة، لكنهم سرعان ما لقوا عقابهم الذين يستحقونه على غدرهم"[4]، ورغم أن القرن الحادي عشر للميلاد عرف استرجاع أوربا للمبادرة باستعادة روجر

---

(1) سالم يفوت: المرجع السابق، ص 9.

(2) نفسه: ص 13،14.

(3) **السراسنة:** وصف أطلق على العرب المسلمين في العصور الوسطى، وقد اختلفت التفسيرات حول معناها وأصلها، فهناك من يرى أنها ترجمة لكلمة Sara Cene أي عبيد سارة، يرى البعض الآخر أنها تحريف لكلمة الشرقيين، وهناك من يذهب إلى تعني السراقين (جمع سارق)، ورغم اختلاف التفسيرات إلا ان المؤكد أن هذه الكلمة تحمل معاني مهينة، أنظر:

عبد الجبار ناجي: الاستشراق في التاريخ (الإشكاليات – الدوافع – التوجهات – الاهتمامات)، المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت، لبنان، ط1، 2013، ص 158

(4) جوزيف شاخت و كليفورد بوزروث: تراث الإسلام ، ج1، ترجمة : محمد زهير السمهوري وآخرون، تعليق وتحقيق، شاكر مصطفى وفؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة، عدد 11، منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1978، ص ص: 29،30.

لصقلية 1066م و ألفونسو السادس لطليطلة 1085 م ودخول فرسان الحملة الصليبية الثانية للقدس 1099 م، إلا أن هذه صورة العرب المسلمين بقيت مشوهة بفعل الصراع المسيحي الإسلامي الذي استمر لعدة قرون[1]، ومن المؤكد أن هذا التشويه كان بسبب السيطرة التامة للكنيسة على الحياة العقلية في أوربا.

ورغم تخلص أوربا من سيطرة الكنيسة نهائيا منذ عصر الأنوار، إلا أن هذه النظرة استمرت، ولكن أخذت طابعا استعلائيا يحتقر ويقلل من شأن الشعوب غير الأوربية، ونلمس هذا " الاحتقار " بقوة في أفكار فلاسفة عصر الأنوار خاصة الألماني هيغل الذي وصف الهنود الحمر في أمريكا بنقص الحيوية والنشاط والمزاج الذي يخلو من الانفعال والإذعان والطاعة للرجل الأوربي الأبيض[2]، ونجد هذه النظرة تتردد وبقوة في الدوائر السياسية الأوربية خاصة الاستعمارية منها التي كان لها احتكاك مباشر بهذه الشعوب، فاللورد كرومر في كتابه مصر الحديثة، يصف المصريين خاصة والشرقيين عامة بالخداع والمكر والقسوة على الحيوان علاوة على الكسل وغياب الحيوية بينما يعتبر الأوربي إنسانا دقيقا، منطقيا، ذكيا[3]، ولا شك هنا الاستشراق قام بدور لا يمكن تجاهله في ترسيخ هذه الرؤية في الدوائر السياسية الأوربية على الأقل و التي كانت على اطلاع تام بما يكتبه المستشرقون.

إن هذه الرؤية ستترك بصمتها على الاستشراق في كل مراحله، وحتى بعض من يعدون من كبار المستشرقين لم ينج منها، لأن الاستشراق يستمد مناهجه من الثقافة الأوربية التي تعمل دائما على تأكيد " التفوق الأروبي على الشرق المتخلف"[4]، فماسينيون Massignon (1883-1962)، بعدما درس التصوف الإسلامي من خلال الحلاج توصل إلى أن

---

(1) جوزيف شاخت و كليفورد بوزروث : المرجع السابق، ص 32.

(2) هيجل: محاضرات في فلسفة التاريخ، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، ج1، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ، ط3، بيروت، لبنان، 2007، ص 159.

(3) إدوارد سعيد: المرجع السابق، ص 94.

(4) سالم يفوت: المرجع السابق، ص 20.

التصوف ثورة ضد عقيدة التوحيد الإسلامية ورجوع إلى عقيدة التثليث المسيحية[1]، وتبرز هذه الرؤية بشكل أكثر قسوة عند أرنست رينان في محاضرته الشهيرة حول الإسلام و العلم حين قال: " إن الجنس السامي قدم التوحيد والمسيحية والإسلام للإنسانية، لكن هذا الشرق لم يقدم للحضارة الإنسانية شيئا يذكر، ذلك أن بساطة الروح السامية أغلقت العقل البشري أمام كل ضروب البحث العلمي"[2]، ويصف العرب في موضع آخر بأنهم جنس فوضوي بطبعه، وأنه – أي الجنس العربي – عاجز عن تأسيس مجتمع مستمر لأنه يفتقر للروح السياسية[3]، وحتى في مجال دراستنا، سنحاول اقتفاء أثر هذه الرؤية في كتابات المستشرقين حول التراث الجغرافي الإسلامي، خاصة عَلَمَيْه الأساسيين في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية؛ أغناطيوس كراتشكوفسكي وأندري ميكال، بالإضافة إلى موقف المستشرقين من البربر وهو موضوع هام استحوذ على مساحة معتبرة من أعمال المستشرقين خاصة الفرنسيين منهم.

في الجزء الأول من كتابه الموسوم بـ جغرافية دار الإسلام البشرية حتى منتصف القرن الحادي عشر ميلادي، يُقر أندري ميكال أن الجغرافية العربية نشأت في أحضان الخلافة العباسية[4]، غير أنه يصر على أنها – أي الجغرافية العربية – مدينة في تطورها إلى حركة الترجمة التي سمحت لها بإعادة إحياء النصوص اليونانية القديمة في ميدان الجغرافيا، منكرا بذلك أي فضل للجغرافيين العرب في تطور الجغرافيا في العصور الوسطى[5]، وهو في هذا ينسجم مع رأي كراتشكوفسكي الذي قلل من شأن الجغرافيين العرب، رغم اعترافه بأن

---

(1) سالم يفوت: المرجع السابق ، ص 25.

(2) محمد عبد الله الشرقاوي: الاستشراق (تشكيل نظرة الغرب للإسلام)، دار البشير للثقافة والعلوم، ط1، 1437 هـ / 2016م، ص 195.

(3) عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط3، 1993، ص 312.

(4) أندري ميكال: جغرافية دار الإسلام البشرية، ج1، ق1، ص 95.

(5) نفسه ، ص 95.

الجغرافيا العربية خاصة الإقليمية عرفت أوج ازدهارها في القرن العاشر الميلادي/ الرابع الميلادي[1].

وتجد ملاحظة أندري ميكال هذه من يُسندها من أتباع مدرسة الحوليات، فجاك لوغوف وهو الباحث المختص في تاريخ العصر الوسيط يرى أن: " **العناية الإلهية أرادت أن تتحول سلطة العالم التي كانت بيد الشرق في بداية العالم، أن تتحول مع اقتراب نهايته إلى الغرب لتخبرنا بأن نهاية العالم وشيكة خصوصا وأن مجرى الأحداث بلغ غايته ومنتهاه**"[2]، وهو موقف يفسره بعض المؤرخين بأنه شعور محوره الاعتقاد بازدهار حضارة الغرب وتفوقها على حضارة الشرق[3].

ويرى بعض المستشرقين المختصين في تاريخ المغرب في العصر الوسيط أن البربر شعب قاصر، لأنه لم يستطع ان يحافظ على استقلاله أمام المدنيات التي تعاقبت على بلاد المغرب منذ أقدم العصور، رغم الحصانة الطبيعية لهذه البلاد التي وصفت بأنها "جزيرة المغرب"[4]، ويسانده في هذا مؤرخ فرنسي آخر هو فليكس غوتييه Gautier (1864-1940) ، الذي وصم البربر أيضا بالقصور، معتبرا أن العزلة الجغرافية لبلاد المغرب أدت إلى طول فترة العصر الحجري فيه مقارنة بأوربا، وهذا ما أدى إلى تأخر البربر عن ركب الحضارة وتعرضهم للسيطرة المتتالية من الشعوب و الحضارات المتعاقبة على حوض المتوسط[5]، وهذا ما يذهب إليه مستشرق آخر وهو غوستاف لوبون Gustave Le Bon الذي أكد على تعرض بلاد المغرب لسيطرة شعوب عديدة[6].

---

(1) كراتشكوفسكي: المرجع السابق، ص 193.

(2) سالم يفوت: الزمان التاريخي (من التاريخ الكلي إلى التواريخ الفعلية): دار الطليعة ، بيروت – لبنان، ط1، 1991، ص12.

(3) نفسه: ص 12.

(4) شارل أندري جوليان: تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب: محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، 1983، ص 65.

(5) إميل فليكس غوتيه: ماضي شمال إفريقيا، ترجمة هاشم الحسيني، مؤسسة تاوالت الثقافية، 2010، ص 5.

(6) Gustave Le Bon, la civilisaltion des arabes, p 425.

إن المدرسة التاريخية الفرنسية تنظر للبربر نظرة دونية ، فهم جنس قاصر معزول بعوائق طبيعية، متأخر عن الحضارة، احتلت أرضه شعوب متعددة منذ فجر التاريخ ، غير أن أندري ميكال يرى غير ذلك، فهو يعتقد أن البربر يملكون من القدرات والرجال والصفات الجسدية والأخلاقية ما يناقض ذلك[1]، وبالمقابل نجد أن أندري ميكال، يلتزم الصمت فيا يتعلق بأصل البربر[2] وهو هنا يتفق مع المدرسة الاستشراقية الفرنسية التي سكت أهم أقطابها في هذا الموضوع[3].

ب / مؤثر مدرسة الحوليات:

يرتبط أندري ميكال بعلاقة وثيقة مع مدرسة الحوليات التاريخية[4]، وهذه العلاقة يمكن النظر إليها من الناحيتين المنهجية والمعرفية.

---

[1] أندري ميكال: جغرافية دار الإسلام، ج4 ، ص ص: 102،103.

[2] المرجع نفسه: ص 102.

[3] أنظر :

- شارل أندري جوليان: المرجع السابق، ص 65
- إميل فليكس غوتييه : المرجع السابق، ص 5
- Gustave Le Bon: op-cit , p424.

[4] خلال القرن العشرين عرفت مناهج الكتابة التاريخية تطورات هامة ، فمنذ القرن الثامن عشر ، كانت الكتابة التاريخية تحت سيطرة المدرسة الوضعية التي تقوم على فكرة التقدم ، و أن تاريخ البشرية ماهو إلا تسلسل للأحداث و الوقائع و الأفكار، فالعقل التاريخي هو العقل السياسي الذي " يخلص الإنسان من براثن الطبيعة و شَرَكِها"، و قد تطورت المدرسة الوضعية في خضم الأحداث السياسية التي حفل بها التاريخ الأوربي في القرن التاسع عشر و بداية القرن العشرين ، خاصة في فرنسا التي شهدت ظهور ما سمي بالتاريخ القومي الذي توسع بعد هزيمة فرنسا في حرب 1870 ضد ألمانيا، و في هذا الجو ستظهر مدرسة الحوليات التي كانت رد فعل طبيعي على المدرسة الوضعية ، التي كانت ترى أن التاريخ سياسي فقط نافية أي تأثير للأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية على سيرورة التاريخ ، بينما يرى فرديناد بروديل – و هو الأب الروحي لمدرسة الحوليات– أنه يجب تجاوز التاريخ التقليدي و تحويل التاريخ إلى جغرافيا و علم اجتماع و اقتصاد في الوقت نفسه.

ظهرت مدرسة الحوليات مع إنشاء مجلة حوليات التاريخ الاقتصادي و الاجتماعي سنة 1929 ، و التي كانت منبرا لمؤرخي هذه المدرسة . لقد سمحت هذه التطورات لعلم التاريخ بأن يتطور و يتخلص من العقلية التقليدية ، فيطلق هنري بار منذ سنة 1930 ، تسمية " التاريخ الجديد " ، الذي كان من أهم مميزاته إعادة الاعتبار للجغرافيا البشرية و ربطها

فمن الناحية المنهجية؛ يكاد يكون التزام أندري ميكال المنهجي متطابقا مع المنهج التاريخي لمدرسة الحوليات، فقد تزامنت دراسته عن الجغرافيا البشرية في دار الإسلام مع تطور مدرسة الحوليات في منتصف القرن العشرين حين فتح المشرفون عليها المجال أمام الجغرافيا التاريخية والتاريخ الاقتصادي[1]، ففي دراسته هذه، يركز أندري ميكال على مفهوم دار الإسلام باعتبارها " نطاقا جغرافيا يدين جل أهله أو كلهم بالإسلام"[2]، وهو ما يقوم عليه منهج مدرسة الحوليات في دراسة الحضارات باعتبارها مجموعة تاريخية يشملها نمط واحد من الحياة المادية والروحية، وسيمتها أنها مرتبطة أوثق الارتباط بمكانها الجغرافي[3]، ويخصص أندري ميكال جزء كاملا من كتابه جغرافية دار الإسلام البشرية للوسط الطبيعي في دار الإسلام، ويبرر ذلك بقوله عن الأرض – أي الوسط الطبيعي –: " **أنها أجمد سائر العناصر، وأغذاها على وجه العموم، وأغمضها إطلاقا على الأرجح، وأهمها في جميع الحالات، ونشعر أحيانا أنه جسم غريب يؤذي بعض حواسنا**"[4]، وهذا تطابق صريح مع

= بالتاريخ ، خاصة على يد فيدال دو لابلاش ، و خلاصة القول أن مدرسة الحوليات كانت ردة فعل على توجهات المدرسة الوضعية التي هيمنت على الكتابات التاريخية في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، والتي حدَّت من أفق التاريخ وضيّقت اهتماماته، واستغرقته في التاريخ الحدثي، وقصرته على معالجة الوثائق، عن طريق النقد والتحليل، بعيدًا عن الحالات الاجتماعية التي تعبّر عنها التطورات الاقتصادية والثقافية والعقلية التي ركزت عليها مدرسة الحوليات ، أنظر:

– أحمد رنيمة ، مفهوم التاريخ لدى مدرسة الحوليات ، مجلة مقاربات فلسفية ، منشورات مخبر الفلسفة و العلوم الإنسانية ، قسم الفلسفة ، كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة عبد الحميد بن باديس ،مستغانم، الجزائر، مج 1: عدد 1 جانفي 2014 ، ص 97.

– سالم يفوت ، المرجع السابق ، ص ص : 19–21.

– فرانسوا دوس : التاريخ المفتت (من الحوليات إلى التاريخ الجديد) : ترجمة : محمد الطاهر المنصوري ، مراجعة : جوزيف شريم ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، لبنان ، ط1، 2009، ص 39.

[1] أحمد رنيمة: المرجع السابق ، ص 99.

[2] أندري ميكال: جغرافية دار الاسلام البشرية، ج3، ق1، ص 8.

[3] احمد رنيمة: المرجع السابق ، ص 103.

[4] أندري ميكال: جغرافية دار الإسلام ، ج3، ق 1، ص 9.

الاتجاه الجغرافي في مدرسة الحوليات الذي يعطي أهمية بالغة للوسط الطبيعي في تفسير حركة التاريخ[1]، ويظهر هذا التطابق بشكل سافر، حين يخصص مبحثا عن المياه في بلاد المغرب، مبرزا تأثيرها على النشاط الزراعي

ومن الناحية المعرفية؛ يظهر تأثر أندري ميكال واضحا بآراء مؤرخي مدرسة الحوليات بشكل عام والمختصين في التاريخ الوسيط بشكل خاص، ويأتي على رأس هؤلاء موريس لومبار Maurice lombard (1094-1965) ، الذي أنجز دراسة مهمة عن العالم الإسلامي، اعتبرها جاك لوغوف بحثا في الزمان و المكان اعتمد فيها على منهج لوسيان فافر في كتابه: الأرض وتطور الإنسانية، مقدمة جغرافية للتاريخ[2].

يعتبر موريس لومبار أن المغرب الإسلامي وهي بلاد البربر، تمتلك امكانيات اقتصادية كبيرة و" موارد بشرية زاخرة"[3]، وينحو أندري ميكال على هذا الرأي حين اعتبر أن البربر يمثلون احتياطيا بشريا هائلا، معتمدا في ذلك على دونه ابن حوقل الذي وضع ما يشبه الجرد الإحصائي لقبائل البربر[4] .

ويتوقف موريس لومبارد بشكل ملفت عند التجارة في بلاد المغرب، معتبرا أن الرقيق والذهب أهم تجارة في هذه البلاد، إذ يرى أن انفتاح بلاد المغرب على الصحراء الكبرى وبلاد السودان سيسمح بتدفق العبيد و الذهب نحو حوض المتوسط و المشرق الإسلامي[5]

---

[1] من أبرز ممثلي هذا الاتجاه لوسيان فيفر صاحب كتاب: الأرض و التطور البشري، وفرديناد بروديل الذي كانت له آراء تربط بين الجغرافيا والحدث التاريخي، فبروديل يعتبر أن : " الجغرافيا كلوحة قراءة للمجتمع وكصخرة صلبة يشد إليها الناس أنفسهم، ذلك هو التاريخ الجغرافي، إنه نظرة مكانية أكثر منها زمانية، أنظر:

فرانسوا دوس: المرجع السابق، ص 204-205.

[2] جاك لوغوف: المرجع السابق، ص 78 .

[3] موريس لومبار: الإسلام في مجده الأول، ترجمة إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1979، ص 80، ولم يوضح موريس لومبار على أي أساس بنى رأيه هذا؟

[4] أندري ميكال: جغرافية دار الإسلام ، ج4، ص 102.

[5] موريس لومبار: المرجع السابق، ص 86.

ويضع في سبيل ذلك مخططا لأهم الطرق التجارية التي تمر ببلاد المغرب[1]، ولئن اتفق أندري ميكال مع موقف موريس لومبار من تجارة العبيد والذهب وأهميتهما في بلاد المغرب، إلا أن الغريب أن كلاهما سيخرج بنتيجة مختلفة حول القيمة الجغرافية لبلاد المغرب، فموريس لومبار يصل في النهاية إلى أن إفريقيا الشمالية تحتل موقعا استراتيجيا جوهريا في العالم الإسلامي لأنها منطقة "**غنية بآفاقها المفتوحة نحو المستقبل و باتصالاتها الحضارية**"، وأنها ملتقى التيارات الحضارية الآتية من المشرق واسبانيا وبلاد السودان[2]، بينما يؤكد أندري ميكال في أكثر من موضع على تهميش بلاد المغرب وعزلتها ضمن دار الإسلام وأنها " كُم الثوب"، وقد مر بنا أن أندري ميكال بنى رأيه هذا على مدا دونه الجغرافيون العرب في القرن العاشر الميلادي /الرابع الهجري خاصة ابن حوقل والمقدسي[1] .

2/ موقع منظور أندري ميكال حول الجغرافية البشرية ببلاد المغرب في المصادر الجغرافية

أ/ بنية المصادر الجغرافية العربية (الإطار و المؤثر):

لا شك أن أندري ميكال اعتمد بشكل واضح على المصادر الإسلامية، وخاصة المقدسي و ابن حوقل، وكان اعتماده عليهما في كل ما يتعلق بدار الإسلام، غير أن المطابقة بين أندري ميكال والمصادر الإسلامية تفضي إلى ملاحظات هامة في الجانبين المنهجي والمعرفي.

فمن **الناحية المنهجية**؛ اعتمد أندري ميكال على منهج مدرسة الحوليات الذي اشرنا إليه سابقا و هو منهج يعنى بدراسة الحضارات ضمن الزمن الطويل، وهو بذلك **منهج أفقي** لا يعير اعتبارا للفوارق بين الأقاليم، على عكس مناهج الجغرافيين العرب الذين اعتمدوا منهج

[1] أنظر الملحق رقم (2) ، ص 79.

[2] موريس لومبار: المرجع السابق، ص 89.

الدراسة الإقليمية، فخصص كل منهم فصلا لكل إقليم من أقاليم دار الإسلام وهو بذلك **منهج عمودي** يبرز الخصائص الجغرافية لكل إقليم.

ومن **الناحية المعرفية**، لم يمنع هذا الاختلاف في المناهج أندري ميكال من استغلال المعلومات التي دونها ابن حوقل و المقدسي عن أقاليم دار الإسلام، غير أن المنهج الأفقي لأندري ميكال أدى إلى تهميش بلاد المغرب، **حيث كان يستشهد ببعض المعلومات المتعلقة بها كأمثلة في سياق دراسته الاقتصادية والاجتماعية لدار الإسلام ككل مجمل**، وهذا ما إلى إغفال الكثير من المعلومات حول بلاد المغرب، وقد برر أندري ميكال موقفه هذا بأن الجغرافية العربية اعتبرت المغرب إقليما هامشيا[2]، رغم وفرة المعلومات الاجتماعية والاقتصادية التي حفظها الجغرافيون العرب عن بلاد المغرب خاصة ابن حوقل[3].

فتتبع ما دونه ابن حوقل عن الزراعة في بلاد المغرب ، يبيّن أن هذا الإقليم غني بإمكانياته الاقتصادية ، خاصة في المجال الزراعي حيث تتنوع المنتوجات الزراعية من برقة إلى سجلماسة[4] ، بينما ملاحظات أندري ميكال لا تعكس هذه الصورة إطلاقا لأنه كان يؤكد على هامشية بلاد المغرب ضمن دار الإسلام.

ويثير هذا الجرد نقاشا آخر حول ملاحظات أندري ميكال فيما يتعلق بموضوع النسيج في بلاد المغرب[5]، فأندري ميكال يرى أن بلاد المغرب ماهي إلا مصدر للمواد الأولية لصناعة النسيج (القطن، الصوف، الكتان، المُلوِنات كالزعفران)، وليست قطبا صناعيا على غرار بلاد فارس والدلتا المصرية[6]، وهو هنا يميل إلى رأي موريس لومبار الذي لم يأت

---

(1) أندري ميكال: جغرافية دار الإسلام، ج3، ق1، ص 47.

(2) نفسه ، ج3 ، ق1، ص 47.

(3) خصص ابن حوقل فصلا لإقليم المغرب استغرق صفحات طويلة من متابه صورة الأرض قدم فيها معلومات قيمة عن بلاد المغرب خاصة في المجالين الزراعي و التجاري، أنظر: ابن حوقل، المصدر السابق، ص 60-104.

(4) أنظر الملحق رقم (3) ، ص ص : 80 ، 83 من هذا البحث، ويؤيد نفس الرأي موريس لومبار، أنظر: موريس لومبار ، الإسلام في مجده الأول، ص 80.

(5) أنظر المبحث المتعلق بالنشاط الصناعي في الفصل الثاني من هذا البحث.

(6) موريس لومبار، المرجع السابق ، ص ص: 274،275.

على ذكر بلاد المغرب كمركز لصناعة النسيج، رغم اعترافه بوفرة المواد الأولية لهذه الصناعة كالصوف، القطن، الحرير والزعفران، وهنا يظهر أن أندري ميكال يؤكد على هامشية بلاد المغرب في المجال الصناعي بعدما أكد على هامشيتها الجغرافية سابقا، وهو الرأي الذي يؤكده أيضا آدم متز، الذي عقد فصلا لصناعة النسيج لم يشر فيه إلى بلاد المغرب كمركز من مراكز صناعة النسيج في بلاد الإسلام[1]، وقد نجد تفسيرا لهذا الموقف عند موريس لومبار الذي يرى أن المشرق كان مصدر اشعاع ثقافي واقتصادي وأن الغرب الإسلامي الذي تلقى هذه المؤثرات كان يتألف من "أقطار متبربرة" غلب عليها الطابع الريفي أو البدوي[2]، وإذا كنا نتفهم كيف تلقى الغرب الإسلامي المؤثرات الثقافية من المشرق، فمن العسير أن نتفهم كيف لم يتلق هذا الغرب المؤثرات الاقتصادية ومنها الصناعات وطرقها، و هذا ما يقلل من رأي موريس لومبار.

وفيما يتعلق بالجانب الاجتماعي، نعود إلى ملاحظة هامة لأندري ميكال حول القوة البشرية للبربر، الذين اعتبرهم احتياطا بشريا هاما، وقد أسلفنا أنه بنى رأيه هذا على ما دونه ابن حوقل الذي أبدى إعجابا ظاهرا بكثرة القبائل البربرية في بلاد المغرب، إلى درجة أنه قام بما يشبه الجرد الإحصائي لها[3]، غير أن هذا الانطباع عن القوة البشرية لبلاد البربر لم يكن حكرا على ابن حوقل، فهو يعود إلى عهد الولاة ، فقد كانت بلاد المغرب دائما مصدرا للغنائم والسبي[4]، وظلت بلاد المغرب على هذا الحال إلى غاية عهد الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور، الذي راسل عبد الرحمن بن حبيب واليه على بلاد المغرب طالبا البيعة

---

(1) آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، ترجمة، محمد الهادي أبوريدة، ج2، الدار التونسية للنشر، تونس ، (1405 هـ/ 1986 مـ)، ص 765-775

(2) موريس لومبار: الجغرافيا التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى، ترجمة عبد الرحمن حميدة ، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط2، 1998، ص 76.

(3) أنظر الفصل الثاني من هذا البحث في المبحث المتعلق بالبربر، و الملحق رقم (1) ، ص78 من هذا البحث.

(4) يدل على هذا شواهد كثيرة، منها أن غضب عبد العزيز بن مروان على موسى بن نصير كان بسبب تعمد هذا الأخير إرسال سبي افريقية وغنائمها إلى الخليفة مروان بن عبد الملك متجاهلا بذلك عبد العزيز بن مروان الذي كان واليا على مصر ومسؤولا مباشرا على موسى بن نصير.

والسبي والغنائم على عادة الخلفاء قبله، فكان رد هذا الأخير حازما: "**إن إفريقية اليوم إسلامية كلها، وقد انتهى السبي منها**"[1]، فهل زال هذا الانطباع في القرن الرابع الهجري وهو عصر ابن حوقل؟

إن الكثير من النصوص التي دونت بعد القرن الرابع الهجري توحي بان هذا الانطباع قد بقي سائدا في الأوساط العلمية على أقل تقدير، فياقوت الحموي وفي معرض تعريفه للبربر وصفهم بأنهم **أمم و قبائل لا تحصى**[2] فهذا عبد الرحمن بن خلدون (تـ808 هـ/) ، وفي معرض حديثه عن تاريخ البربر قبل الفتح الإسلامي وأثناءه يقر بـ**وفور عددهم و كثرة قبائلهم و أجيالهم**[3] ، فالشعور بالقوة البشرية الذي تحدث عنه أندري ميكال لم يكن وليد القرن الرابع و إنما هو شعور ظهر منذ الأيام الأولى للفتح الإسلامي لبلاد المغرب وبقى مستمرا إلى غاية عصر ابن خلدون.

بقيت نقطة أخيرة تتعلق بالصفات الأخلاقية للبربر، فقد ركز أندري ميكال على الصفات الأخلاقية السلبية[4]، ويبدو أن ابن حوقل ليس الوحيد الذي سجل هذا، فياقوت الحموي يصف البربر بأنهم **أجفى خلق الله وأكثرهم طيشا، وأسرعهم إلى الفتنة، وأطوعهم لداعية الضلالة وأصغاهم لنمق الجهالة، ولم تخل جبالهم من الفتن وسفك الدماء قط، ولهم أحوال عجيبة واصطلاحات غريبة، وقد حسن لهم الشيطان الغوايات وزيّن لهم الضلالات حتى صارت طبائعهم إلى الباطل مائلة و غرائزهم ضد الحق جائلة**[5]، ولسنا ندري سر هذا التحامل من ياقوت الحموي الذي توفي سنة 626هـ/1228مـ، والذي لم يثبت عنه أنه زار بلاد المغرب؟.

---

(1) أبو العباس أحمد بن محمد بن عذارى المراكشي: البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، ج1، تحقيق و تعليق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، تونس ط1 (1434هـ/2013مـ)، ص99.

(2) ياقوت الحموي: المصدر السابق، ص 368.

(3) عبد الرحمن بن خلدون: المصدر السابق، ص 135.

(4) أنظر المبحث المتعلق بالبربر في الفصل الأول من هذا البحث.

(5) ياقوت الحموي: المصدر السابق، ص 369.

وإذا كان التحامل ظاهرا في رواية ياقوت الحموي، فإن عبد الرحمن بن خلدون المتوفى سنة 808هـ، قد أشاد بأخلاق البربر وصفاتهم الحميدة، يقول ابن خلدون في وصف البربر: **"وأما تخلقهم بالفضائل الإنسانية وتنافسهم في الخلال الحميدة، وما جُبلوا عليه من الخلق الكريم مرقاة الشرف والرفعة بين الأمم ومراعاة المدح والثناء من الخلق في عز الجوار وحماية النزيل ورعي الذمة والوسائل والوفاء بالقول والعهد والصبر على المكارم والثبات في الشدائد و حسن المَلَكَة والإغضاء عن العيوب والتجافي عن الانتقام ورحمة المسكين وبر الكبير وتوقير أهل العلم وحَمْلِ الكل وكسب المعدوم وقِرى الضيف والإعانة على النوائب وعلو الهمة وإبانة الضيّم ومشاقة الدول ومقارعة الخطوب وغِلاب الملك وبيع النفوس من الله في نصرة دينه فلهم في ذلك آثار نقلها الخلف عن السلف"**[1]، وهنا وعلى النقيض من ياقوت الحموي تماما، يظهر تعاطف ابن خلدون التام مع البربر وتمجيده لصفاتهم الأخلاقية، وهو أمر طبيعي لأن ابن خلدون مؤرخ بربري عاش معظم حياته في بلاد المغرب.

ب / مؤثر المنهج الشمولي في الجغرافية العربية(المسالك و الممالك):

اعتمد أندري ميكال في ملاحظاته عن بلاد المغرب على ما دونه جغرافيو المدرسة الكلاسيكية في القرن العاشر الميلادي/ الرابع الهجري، ونقصد بالتحديد ابن حوقل والمقدسي اللذين وصفهما أندري ميكال بالجغرافيين الميدانيين[2]، وقبل إجراء أي مطابقة بينهما وبين أندري ميكال لابد من العودة لمناهجهما في البحث.

---

[1] عبد الرحمن بن خلدون: المصدر السابق، ص 136.

[2] أندري ميكال: جغرافية دار الإسلام ، ج4، ق1، ص258.

يعتمد المقدسي أسلوب الدراسة الإقليمية الذي انتهجته المدرسة الكلاسكية في القرن العاشر الميلادي، فقد قسم المقدسي دار الإسلام إلى أربعة عشر إقليما؛ ستة منها عربية (ومن ضمنها المغرب)، وثمانية منها أعجمية[1]، ويحدد المقدسي ثلاث مصادر لدراسته الإقليمية، **أولها ما عايناه، والثاني ما سمعناه من الثقات، والثالث ما وجدناه في الكتب المصنفة**[2]، ويظهر هنا تنوع مصادر المقدسي في دراسته الإقليمية، مما جعل الكثير من المستشرقين يعتبرونه أعظم جغرافي عربي في العصر الوسيط[3].

وتظهر قيمة منهج المقدسي في أنه وصف أقاليم دار الإسلام **و ما فيها من المنافذ والبحار والبحيرات والأنهار، ووصف أمصارها المشهورة ومدنها المذكورة، ومنازلها المسكونة و طرقها المستعملة، وعناصر العقاقير و الآلات ومعادن الحمل والتجارات، واختلاف أهل البلدان في كلامهم وأصواتهم وألسنتهم وألوانهم، ومذاهبهم ومكاييلهم وأوزانهم، ونقودهم وصروفهم وصفة طعامهم وشرابهم وثمارهم و مياههم، معرفة مفاخرهم وعيوبهم، وما يخمل من عندهم وإليهم، وذكر مواضع الأخطار في المفازات وعدد المنازل في المسافات وذكر السباخ والصلاب والرمال والتلال والسهول والجبال**[4] .

أما الجغرافي الميداني الثاني الذي اعتمد عليه أندري ميكال فهو ابن حوقل، والذي يصفه كراتشكوفسكي بأنه الخبير الأول في شؤون المغرب[5]، فقد اعتمد منهجا لا يختلف كثيرا عن منهج المقدسي، لكن ابن حوقل يصرح أنه اعتمد على الاصطخري في صياغة كتابه صورة الأرض (المسالك و الممالك)[6]، ولم يكن الاصطخري مصدره الوحيد في منهجه، يقول ابن حوقل: " **فقد أعانني عليه تواصل السفر وإزعاجي عن وطني، مع ما**

---

(1) محمد محمود محمدين: أسلوب دراسة الإقليم عند المقدسي، ص 344.

(2) المقدسي: المصدر السابق، ص 8.

(3) تمت الإشارة إلى ذلك في الفصل التمهيدي من هذا البحث.

(4) المقدسي: المصدر السابق، ص 7.

(5) كراتشكوفسكي: المرجع السابق،ج1 ، ص 204.

(6) نفسه: ص 201.

سبق به القدر لاستيفاء الرزق والشهوة لبلوغ الوطر، بجوار السلطان و كلب الزمان"[1]، وكان ابن حوقل **كثير الاستخدام لسافرة النواحي، ووكلاء التجار، وقراءة الكتب المؤلفة فيها**[2]، وهنا يبرز التطابق الكبير بين منهجي ابن حوقل والمقدسي، فكلاهما اعتمد على روايات الشهود و كتب السابقين، ومن الناحية الميدانية، فقد وصف ابن حوقل دار الاسم وصفا تفصيليا موضحا ذلك بقوله: **وقد فصلت بلاد الإسلام أقليما إقليما، وصُقعا صُقعا وكورة كورة**[3] .

إجمالا ، يمكن القول أن النص الجغرافي العربي في الفترة الوسيطة ، و خاصة نص المسالك و الممالك تميّز بـ**منهجه الشمولي** ، فرغم أن من دونوا نص المسالك الممالك قسموا دار الإسلام إلى أقاليم و دونوا معلومات هامة و شاملة تتعلق بكل ميادين الجغرافية البشرية لمملكة دار الإسلام ، و و لم يكن التقسيم الإقليمي عائقا أمام منهجهم الشمولي لأن نظرتهم كانت شاملة في إطار وحدة دار الإسلام.

---

[1] ابن حوقل: المصدر السابق، ص 3.

[2] نفسه: ص3.

[3] نفسه: ص 5.

الفصل الثالث :

منظور أندري ميكال الاجتماعي حول بلاد المغرب الإسلامي في القرن 4هـ/10م

1/ البربر:

أ/أصل البربر ب/ صفات البربر

2/ المُدن(الماهية و المواصفات):

أ/ ماهية المدينة.

ب/ المواصفات.

جـ/ مرافق المدينة الإسلامية.

د/ المزارع المحيطة بالمدينة.

هـ/ المياه.

ك/ الأسواق.

ل/ الجامع.

3/ الحياة اليومية:

أ/ الطعام.

ب/ الاستشفاء.

جـ/ الهندام.

د/ العادات و التقاليد.

في إطار دراسته للجغرافية البشرية[1]لبلاد المغرب الإسلامي ، انصب اهتمام المستعرب الفرنسي أندري ميكال في استنباط نص الجغرافية الاجتماعية[2] ، و كذلك نص جغرافية الأعراق البشرية[3] ، و ذلك من نص الجغرافية البشرية التي كتبها الجغرافيون العرب في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، و يأتي في مقدمتهم ابن حوقل النصيبي (ت367هـ/977م) والمقدسي (ت380هـ/990م) ، و على تأكيد الملاحظات التي ساقوها حول شعوب المغرب الإسلامي ، من حيث عاداتها و صفاتها الخلقية و الأخلاقية ، و تأثير المناخ و الوسط الطبيعي في تشكيلها .

لذلك سأركز على الموضوعات المتعلقة بالعنصر البربري ، المدينة و حياة هذا العنصر فيها ، مع التركيز على جغرافية الأعراق البشرية فيما يتعلق بالعنصر البربري[4] ، و قراءة هيكل المدينة الإسلامية المغربية و حياة الناس فيها ضمن قالب الجغرافية الاجتماعية.

---

[1] تعرف الجغرافيا البشرية على أنها الدراسة المكملة للجغرافيا الطبيعية للظواهر المرتبطة بالإنسان أو تعزى إليه ، أو إلى نشاطه ، و هي أحد أقسام الجغرافيا الرئيسية ، و تضم فروعا عدة ، منها : الجغرافيا الاجتماعية ، الجغرافيا الاقتصادية ، الجغرافيا السياسية ، أنظر :

يوسف التوني : معجم المصطلحات الجغرافية ، منشورات دار الفكر العربي ، دمشق ، سوريا 1977، ص 154.

[2] يقصد هنا كل النصوص الجغرافية التي تعرضت للأحوال الاجتماعية في بلاد المغرب الإسلامي.

[3] تعرف جغرافية الأجناس البشرية أنها فرع من فروع الجغرافيا يدرس تطور الإنسان ، و توزيع سلالاته ، و التركيب العنصري لمختلف أقاليم سطح الأرض ، لكن هذا العلم صار موزعا اليوم بين الجغرافيا التاريخية و الأنثروبولوجيا : أنظر يوسف التوني ، المرجع السابق ، ص ص : 156 ، 169.

[4] كان العنصر البربري هو الغالب على بلاد المغرب الإسلامي ، حين دونت كتب الجغرافية العربية في القرن الرابع الهجري/العاشر ميلادي ، رغم أن الحسن الوزان المعروف بليون الإفريقي ، ذكر أن الجيش الذي فتح بلاد المغرب سنة 24هـ ، كان تعداده ثمانين ألفا من العرب ، و قد استقر عدد كبير منهم ببلاد المغرب ، أنظر:

عبد الرحمن حميدة ، المرجع السابق ، ص 636.

غير أن المصادر العربية القريبة من حركة الفتح لم تشر إلى أي شكل من أشكال الاستقرار لهذا العدد الكبير من العرب ، أنظر:

ابن عبدالحكم (ت257هـ) : فتوح مصر و المغرب ، تحقيق : على محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، مصر، 1425هـ/2004م ، ص ص : 210،215.

لكن ، هل استطاع أندري ميكال بهذه الطريقة أن ينفذ خارج العرض الذي ساقة أصحاب جغرافية المسالك و الممالك ؟ أم أنه أعاد تركيب منهج الجغرافي العربي في دراسة الأعراق و مجتمع المدينة بما يسمح بقراءة المعطيات قراءة منسجمة؟

1/ البربر:

في إطار تعليقه العام على الأعراق التي تعايشت في دار الإسلام، عقد أندري ميكال مبحثا خاصا للبربر من عدة صفحات[1]، تناول فيه جملة من القضايا المتعلقة بالبربر كسلالة بشرية، تضمنت أولا تحديد أصلهم، ثم مناقشة طباعهم وسلوكياتهم، لكن جعل ذلك خارج النطاق العام الذي ناقش فيه القضايا الهامة التي تناولها الجغرافيون العرب حول الأجناس في مملكة دار الإسلام ؛ أي ما تعلق بالعرب و غير العرب بحيث أبعد البربر من هذه المناقشة ، مناقشا ذلك في إطار ظاهرة الشعوبية[2] التي ظهرت بقوة لدى الفرس باعتبارهم عرقا كان له ماض مجيد أتى عليه المسلمون عندما نجحوا في الانقضاض على مملكة الساسانيين، وربما يُعزى ذلك إلى أن البربر كانوا بعيدين عن هذا النقاش لأن سياق الفتح الإسلامي في المشرق كان مختلفا عنه في المغرب.

أ/ أصل البربر

بدأ أندري ميكال بالتعريج على ما كتبه الجغرافيون العرب حول أصول البربر، بداية بان خرداذبة والمقدسي اللذين ارجعا نسب البربر إلى فلسطين، مرورا باليعقوبي الذي ينسبهم إلى الروم القدامى الذين سكنوا برقة قديما، ويختم بإبراهيم بن وصيف والمسعودي اللذين نسبا البربر إلى اليمن[3]، فالجدير بالملاحظة هنا أن الكثير من الجغرافيين المسلمين يلتقون في نسبة البربر إلى جالوت، خاصة ابن حوقل الذي يؤكد على ذلك بقوله:" **وجميعهم من ولد**

---

(1) أندري ميكال: جغرافية دار الإسلام ، ج 4، ق1، ص ص: 102،106.

(2) نفسه: ص ص: 95،105.

(3) نفسه: ص ص: 102،103.

جالوت إلا اليسير منهم"[1]، ويعود للتأكيد على رأيه بأبوة جالوت لهم، عندما يعدد قبائل البربر التي اقتربت من مائتي قبيلة[2]، غير أن ابن خلدون رفض كل آراء النسابة العرب حول أصل البربر، معتبرا أن هذه المذاهب مرجوحة وبعيدة من الصواب، واصفا إياها بالتّرهات[3]، وأن البربر " **معروفون في بلادهم وأقاليمهم متحيزون بشعارهم من الأمم منذ الأحقاب المتطاولة قبل الإسلام** "[4]، ويرى أن البربر من ولد كنعان بن حام بن نوح[5]، ورغم أن بن خلدون ينفى أبوة جالوت للبربر، إلا أنه يلتقي مع الجغرافيين المسلمين في الأصل الحامي للبربر.

لم يتوقف أندري ميكال عند تعداد قبائل البربر معتبرا أنهم:" **يؤلفون قبائل تذكر أسماؤها عند الحاجة**"[6]، وهو هنا يتجاوز قضية انثروبولوجية هامة توقف عندها ابن حوقل في معرض وصفه لقبيلة تانماك البربرية، التي قال ابن حوقل عن أبنائها أنهم: "**سودان (أي سود) ابيّضت أبشارهم (بشرتهم) لقربهم إلى الشمال وبعدهم عن أرض كوكو**"[7]، ورغم غرابة هذا الرأي فإن ابن حوقل أثار مسألة في غاية الأهمية تتعلق بأثر المناخ على صفات الإنسان، وهي قضية كان يجب التوقف عندها ومناقشتها، سيّما وأن بن حوقل ليس الوحيد

---

(1) ابن حوقل: المصدر السابق، ص 104.

(2) نفسه ، ص ص97، 100، وقد عدد ياقوت الحموي(ت626هـ/1228م) قبائل البربر وذكر منها ستة و ثلاثين قبيلة، مع تفريقه في الأصل بين قبائل صنهاجة و كتامة التي أرجع أصلها إلى افريقش بن قيس بن صيفي بن سبأ الأصغر، وبينما أرجع أصل باقي القبائل إلى الجبارين الذين هزمهم طالوت و داوود فنزحوا من فلسطين واستقروا بالمغرب، أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 1، دار صادر، بيروت، لبنان، 1397هـ/1977، ص 368.

(3) بن خلدون: تاريخ ابن خلدون (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)،ج6، تحقيق: خليل شحاذة، مراجعة، سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (1421هـ/2000م)، ص126.

(4) نفسه: ص126.

(5) نفسه: ص 126.

(6) أندري ميكال: المرجع السابق، ص 103، أما ابن حوقل ففي آخر وصفه لبلاد المغرب، وضع جردا لقبائل البربر عدد فيه ما يقارب مائتي قبيلة، أنظر : ابن حوقل، المصدر السابق، ص: 104-107. وأنظر أيضا الملحق رقم (1)، ص76.

(7) ابن حوقل: المصدر السابق، ص 101،

الذي تعرض لهذه القضية من جغرافيي عصره، فالمقدسي مثلا أشار إلى أن البربر كانوا" **أشد بياضا وزرقة عيون** " وذلك كلما اتجهنا غربا[1].

ب / صفات البربر

يشير أندري ميكال إلى هذا الموضوع بجملة واحدة بقوله عن البربر أنهم **حضر أحيانا وبدو في الغالب**[2]، ويبدو أن ملاحظته هذه قد بناها على عبارة للمقدسي الذي أكد أن **الغالب على بوادي هذا الإقليم (بلاد المغرب) البربر**[3]، رغم أنه – أندري ميكال– يؤكد أن المقدسي لم يزُرْ المغرب[4] وهي ملاحظة مبالغ فيها، رغم أن ابن حوقل يشير إلى أنهم حضر يستقرون في المدن لمزولة نشاطاتهم الزراعية بصفة خاصة، فإنهم أيضا أنصاف بدو يربون قطعان الماشية منتقلين بين السهول والجبال، ويمتهنون الزراعة عندما تكون التربة صالحة[5]، فالبكري (تـ487 هـ) أفرد حيّزا معتبرا في كتابه المسالك والممالك لذكر المدن المشهورة الممتدة من مصر إلى المغرب[6]، وهذا يؤكد أن عددا معتبرا من البربر كانوا من ساكنة المدن[7].

---

(1) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم : ص 323، وقد لفت هذه المسألة – أي تأثير الهواء في أمزجة الشعوب – انتباه الجغرافيين المسلمين، فابن رسته (تـ300هـ/912م) أثار هذه المسألة عندما ربط المزاج البارد الذي يتميز به الترك ببعد بلادهم عن الشمس وكثرة الثلوج فيها، أنظر :

أبو علي احمد بن عمر ابن رسته : كتاب الأعلاق النفيسة ، مجلد 7 ، منشورات مطبعة ليدن ، هولندا،1891، ص ص : 101،102.

(2) أندري ميكال: جغرافية دار الإسلام، ج4 ، ق 1، ص 103.

(3) المقدسي، المصدر السابق، ص 323.

(4) أندري ميكال: جغرافية دار الإسلام، ج4 ، ق 1، ص 104.

(5) نفسه: ص 105.

(6) البكري: المسالك والممالك، ج2، ص 173

(7) ستُثار هذه القضية مجددا حين توجه المدرسة الفرنسية الاتهام للعرب الهلاليين بأنهم سبب خراب بلاد المغرب، وكان أندري ميكال ممن انساقوا وراء هذه النظرة في كتابه " الإسلام و حضارته "، حيث اتهم العرب الهلالية بأنهم سبب الانهيار الاقتصادي لبلاد المغرب و تراجع نظام الدولة فيه وانتشار الفوضى والحكم القبلي، أنظر: علاوة عمارة، دراسات في تاريخ الجزائر الوسيط والغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008، ص 29.

ينتقل أندري ميكال إلى وصف طباع البربر، وهو هنا يتراوح بين الذم؛ ويعتمد في ذلك على المقدسي الذي يصفهم بربر السوس بأنهم **قوم على عمل الخوارزمية، لا يفهم لسانهم، ولا تُرضي طباعهم، مع خسة وشدة**[1]، ويذكر في موضع آخر أن **بإفريقية مدينتين بهما تباع لحوم الكلاب على القنارات وهما قسطيلية ونفطة ويتهمون بطرح لحوم الكلاب في الهرائس**[2] **مع غشامة وسوء خلق**[3]، وبين المدح والذم؛ ويعتمد في هذا على ابن حوقل الذي يصف أهل طرابلس بأنهم **قوم مرموقون من بين من جاورهم بنظافة الأعراض والثياب والأحوال، متميزون بالتجمل في اللباس وحسن الصور والقصد في المعاش إلى مروءت ظاهرة وعشرة حسنة ورحمة مستفاضة ونيات جميلة**[4]، بينما يصف ابن حوقل نفسه أهل قابس أنهم **قليلو الدماثة غير محظوظين من الجمال والنظافة وفيهم سلامة، وفي باديتهم شر شِمرْ ودين قذر**[5]، ورغم هذا التناقض فإن أندري ميكال يؤكد أن البربر قوم أباة، بهم جلد وبسالة وذكاء وكرم على المارة إلى حد الإفراط[6]، ورغم انه اعتمد في إصدار حكمه هذا على ابن حوقل[7]، ، لكن أندري ميكال يرى أن ابن حوقل انطلق في

---

(1) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم : ص 323.

(2) الهرائس، جمع الهريسة، وهي الأكل الكثير، أنظر:

مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب التحقيق في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، ط8، مؤسسة الرسالة، يروت، لبنان، (1426هـ/2005)، ص 581

(3) المقدسي: المصدر السابق، ص 323.

(4) بن حوقل: المصدر السابق، ص 69.

(5) نفسه: ص 70.

(6) أندري ميكال: جغرافية دار الإسلام، ج4، ق1، ص 106.

(7) نفسه : ص 106، الهامش، دون ابن حوقل ملاحظات غريبة حول طباع البربر تربط بين النظام الغذائي وأثره على السلوك، فيقول ابن حوقل في معرض حديثه عن أهل بالرمو وتأثير الماء والبصل عليهم: " وأكثر مياه البلد والحارات من الآبار ثقيلة غير مَريئة، وأنام صرفهم إلى شربها رغبة عن شرب الماء الجاري العذب، ثقلت مرؤاتهم، وكثرة أكلهم للبصل وفساد حواسهم بكثرة تغذيهم بالنيئ منه، وما منهم من لا يأكله كل يوم، أو يؤكل في داره صباح مساء من سائر طبقاتهم، وهو الذي أفسد تخيلهم وضر أدمغتهم وغير حواسهم وغير عقولهم ونقص أفهامهم وبلّد معارفهم وأفسد سحنة وجوههم، وأحال أمزجتهم حتى رؤوا الأشياء أو أكثرها على خلاف ماهي به" ، أنظر:

صورة الأرض : ص ص : 123،124.

حكمه هذا من تعاطفه مع الفاطميين ونقمته على أهل صقلية الذين لم يدخلوا في طاعة الفاطميين[1]، وفي وصف أهل الأندلس سيزداد هجوم ابن حوقل ضراوة حين استغرب "**صغر أحلام أهلها وضعة في نفوسهم، وبعدهم عن البأس والشجاعة والفروسية والبسالة ولقاء الرجال**"[2]، وطبعا يرى ابن حوقل أن الفرصة مواتية للفاطميين الذين يتعاطف معهم من أجل الاستيلاء على الأندلس، وهذا ما ذهب إليه أندري ميكال في تفسيره لهذا الموقف من ابن حوقل حيال أهل الأندلس[3]

غير أن ابن حوقل في موضع آخر يسهب في الثناء على البربر حين وصفهم بأن لهم "**محاسن في خلقهم قد عمت نساءهم ورجالهم والغالب عليهم حسن القدود وجمال الأطراف، ويشملهم الستر والسلامة والمعروف**"[4]، وهذا ما أشاد به أندري ميكال رغم أن ابن حوقل لم يفسر سبب هذا الجمال[5]، وتتكرر هذه الصورة مع أهل سجلماسة، الذين يصفهم ابن حوقل بأنهم: " **سُراة مع كرم وثقافة وصيانة ولباقة**"[6]، ويلاحظ أندري ميكال أن مديح ابن حوقل للبربر يزداد كلما اتجهنا شرقا، حيث تنتشر المدن التي كانت خاضعة لسلطة الفاطميين[7]، وخيص بالذكر مدن بنزرت، سوسة، فاس وطرابلس التي أثنى ابن حوقل طويلا على أهلها وبطاعتهم للفاطميين بقوله عن أهل طرابلس بأن لهم مذهبا في طاعة السلطان سديد[8].

---

(1) أندري: ميكال، جغرافية دار الإسلام ، ج4، ق1 ، ص 106.

(2) ابن حوقل، المصدر السابق ، ص: 108 – 109.

(3) أندري ميكال: جغرافية دار الإسلام ،ج4، ق2 ، ص 455.

(4)ابن حوقل: المصدر السابق، ص 102.

(5) أندري ميكال: جغرافية دار الإسلام ، ج4، ق2 ، ص 448.

(6) أندري ميكال، جغرافية دار الإسلام ، ص 454، في النص الذي بين أيدينا يصف ابن حوقل أهل سجلماسة بأنهم : " قوم سراة مياسير يباينون أهل المغرب في المنظر والمخبر مع علم وستر وصيانة وجمال واستعمال للمروءة وسماحة ورجاحة"، وهو كما نرى يختلف عن النص الذي استشهد به أندري ميكال في متن كتابه، أنظر:

صورة الأرض: ص 91.

(7) أندري ميكال: جغرافية دار الإسلام ، ج4 ، ق2 ، ص 455.

(8) ابن حوقل: المصدر السابق، ص 69.

وهنا طرح أندري ميكال سؤال جوهريا، هل ينطوي هذا الموضوع على شيء من العصبية العرقية؟[1]، ويبدو أن ما دفعه إلى طرح هذا التساؤل ما دونه ابن حوقل والمقدسي حول علاقة الصفات الجسدية – خاصة لون البشرة– بالتصرفات الأخلاقية، يرى أندري ميكال أن ابن حوقل والمقدسي يحكمان على شعوب دار الإسلام وفق هذا الأساس[2]، غير أن هذا الحكم يناقض مع أحكام أخرى لأندري ميكال خاصة عند ابن حوقل، الذي كانت ميوله الفاطمية وراء الكثير من أحكامه كما سبق وأن رأينا.

بقي أن نشير إلى مسألة أخيرة تتعلق بالبربر، فقد اعتبر أندري ميكال أنهم يشكلون احتياطيا بشريا هائلا نظرا لاتساع مساحة بلاد المغرب[3]، ويبني رأيه هذا على نصوص ابن حوقل المتعاطف مع الفاطميين[4]، فابن حوقل عندما قارن بين الرصيد البشري بين بلاد المغرب بلاد الروم، وصل إلى نتيجة مفادها أن "**من قبائل البربر المتبدين في صحارى المغرب ما يستولي على ضعف عدد ما تحوزه نواحي الروم، وما عندهم من القوة والجلد،**

---

(1) أندري ميكال: جغرافية دار الإسلام ، ج4 ، ق2 ، ص 450.

(2) نفسه: ج4 ، ق 2 ،ص 450.

(3) نفسه: ج 4 ق 2، ص 105.

(4) يظهر تعاطف ابن حوقل مع الفاطميين بوضوح عندما يأتي على ذكر المهدية، فيسهب في مدح ملوك الفاطميين بقوله: وملوكها حماة وجيوشها كُماة، أو عندما يبدى تشفيه في النهاية التي لقيّها يزيد بن مخلد بن كيداد على يد الفاطميين حين وصف حصاره للمهدية بقوله: "حاصر المهدية و ضيّق على أهلها وعلى موالينا عليهم السلام حتى أذن الله ببواره، وهو في غاية الثقة بأنصاره والسرور باغتراره فخانه فجوره و أسلمه سروره، وخرج عليه مولانا أمير المؤمنين المنصور بالله صلى الله عليه وسلم في فئة شعرها الإيمان "، وسينعكس هذا التعاطف على الكثير من ملاحظات ابن حوقل حول بلاد المغرب، أنظر:

ابن حوقل: المصدر السابق، ص، 72-73.

وقد أشار كراتشكوفكسي إلى قضية الانتماء السياسي والعقائدي لابن حوقل، والنقاش الذي ثار حول الموضوع بين المستشرقين، فالمستشرق دوزي Dozy، يعتقد أن ابن حوقل كان جاسوسا للفاطميين، بينما يذهب بروفنصال Provençal إلى أنه كان عميلا مزدوجا للفاطميين و العباسيين معا، مبررا رأيه بالمعلومات التي دونها ابن حوقل عن الأندلس و التي اعتبرها بمثابة دعوة للفاطميين و العباسيين من أجل غزو الأندلس، غير أننا نذهب إلى القول برأي أندري ميكال في أن ابن حوقل كان متعاطفا مع الفاطميين، لأن تعاطف ابن حوقل مع الفاطميين في منتهى الوضوح، أنظر:

كراتشكوفسي، المرجع السابق، ج1، ص 204

ومحلهم من البأس والشدة، فإنهم بحيث إذا دخل لهم جيش من المغرب إلى أرض الروم أباده و أباره و أهلكه و أتى عليه "[1] غير أن ابن حوقل ليس الوحيد الذي يوحي بهذا الشعور، فابن خلدون الذي كتب تاريخه بعد الفاطميين بنحو ثلاث قرون، يبدى إعجابه بالرصيد البشري للبربر.

2 / المدن (الماهية و المواصفات):

عالج أندري ميكال موضوع المدينة في دار الإسلام من خلال ثلاث نقاط هامة؛ تتعلق الأولى بتحديد تعريف للمدينة، والثانية حول مواصفات المدن الإسلامية الكبرى، وتتعلق الثالثة بالمرافق الضرورية فيها.

يبدأ أندري ميكال ملاحظاته عن المدن في دار الإسلام، بوضع تصنيف لنوعية المدن، فمنها المدن التي كانت موجودة قبل الإسلام، ومنها المدن التي بنيت بعد انتشار الإسلام وأخيرا المدن التي زالت أو توسعت بعد انتشار الإسلام، معتبرا أن الإسلام يتصرف تصرف المستهلك المستعجل في بناء المدن، ويعزو ذلك إلى كثرة المدن التي أنشت بعد انتشار الإسلام.[2]

ورغم أن الجغرافيين العرب تجاهلوا مدن الغرب الإسلامي في هذا التصنيف، إلا أن أندري ميكال يشير إلى فاس، القيروان والمهدية، كحواضر كبرى بناها المسلمون[3]، ويعتمد على ملاحظات ابن حوقل حول المدن التي زالت أو تراجع بريقها في بلاد المغرب بسبب عوامل مختلفة كندرة المياه أو التصحر[4]

---

[1] ابن حوقل: المصدر السابق ، ص 100.

[2] أندري ميكال: جغرافية دار الإسلام، ج4، ص 378-381.

[3] نفسه : ص 380.

[4] نفسه: ص 382، ويقصد أندري ميكال هنا ما دونه ابن حوقل إلى مرسى تامدفوس التي خربت، وشرشال المدينة الأزلية التي خربت، وقرية هاز التي كانت عظيمة غلب علها الرمل حسب شهادة ابن حوقل، أنظر:
ابن حوقل: المصدر السابق، ص ص: 67،77.

أ / ماهية المدينة:

ينطلق أندري ميكال في تعريفه للمدينة من حرصه على أن المدينة أبز علامات الحضارة، وبعد أن يعرج على بعض التعاريف النظرية للمدينة والتي صاغها الجغرافيون الأوائل[1]، يتوقف أندري ميكال عند ملاحظات الجغرافيين الرحالة حول المدن في دار الإسلام، مركزا على ملاحظات ابن حوقل و المقدسي في هذا الشأن.

يبدأ أندري ميكال من نص لابن حول حوقل حول قرطبة التي يندهش ابن حوقل مما فيها من "**كثرة أهل، وسعة رقعة، وفسحة أسواق، ونظافة محال، وعمارة مساجد، وكثرة حمامات وفنادق**"[2]، ويقارن ابن حوقل بينها وبين بلرمو عاصمة صقلية التي يشير إلى مسجدها الذي يتسع لسبعة آلاف رجل ونيف، وعدد مساجدها الذي يفوق الثلاثمائة، إلا أنه يعتبر أنها لا تضاهي قرطبة التي يفوق عدد مساجدها الخمسمائة[3]، غير أن بن حوقل وفي معرض حديثه عن سوق إبراهيم في المغرب يصفها أنها **مدينة صغيرة، وفيها سوق وحمام**[4].

ثم يتعرض أندري ميكال لملاحظات المقدسي حول المدينة في دار الإسلام، فيجد أنه يحدد المدينة بعدد سكانها عندما يشير إلى ما كتبه المقدسي حول الفسطاط[5]، وعلى أبعاد المدينة وهنا استشهد بما كتبه المقدسي عن أبعاد بعض المدن ومنها القيروان التي حدد أبعادها بأقل من ثلاثة أميال[6].

---

(1) أندري ميكال: جغرافية دار الإسلام، ج4 ، ق2، ص، 347-348.

(2) ابن حوقل: المصدر السابق، ص 111.

(3) نفسه: ص 111.

(4) نفسه: ص 90.

(5) أندري ميكال: المرجع السابق، ج4 ، ق2، ص 348.

(6) المقدسي: المصدر السابق، ص 212، في الصفحة نفسها يصف المقدسي القيروان بأنها أكبر من دمشق، مما قد يوضح الأبعاد الحقيقية للمدينة.

يخلص أندري ميكال من خلال المقارنة بين هذه النصوص إلى وجود مفهومين متناقضين بين ابن حوقل و المقدسي[1]، ليقرر في النهاية أن أي مدينة يجب أن تسوفي ثلاثة شروط: المزارع المحيطة بها و التي تضمن تموينها بالغذاء، السلطة التي تمارس داخلها وحولها و المؤسسات العامة أو المرافق الضرورية فيها[2].

ب / المواصفات:

في بداية حديثه عن المدن، يعترف أندري ميكال للحضارة الإسلامية بميزة التشجيع على الإكثار من المدن و تكبير حجمها بصورة لم يعرفها التاريخ في حوض المتوسط ولا الشرق الأدنى أو الأوسط[3]، ثم ينتقل إلى تحديد المعايير التي سيعتمدها في اختيار أهم المدن التي سيركز دراسته عليها، والتي اعتبرها " معايير حسية، لخصها في حجم المدينة، تاريخ المدينة وسلطتها والفرق بين المدينة والأرض المجاورة لها[4].

وعلى هذا الأساس، وضع أندري ميكال قائمة بسبع عشرة مدينة اعتبرها أنها أهم المدن في دار الإسلام، وكان من حظ بلاد المغرب مدينة واحدة في صورة قرطبة التي تمثل عظمة الأندلس[5]، ثم يستعين أندري ميكال بالمقدسي الذي حدد لائحة بسبع عشرة مدينة عددها على أساس أنها حواضر الأقاليم، وفي هذه اللائحة ستضاف مدينة القيروان كحاضرة من حواضر بلاد المغرب إضافة إلى قرطبة[6].

---

(1) أندري ميكال، جغرافية دار الإسلام، ج3 ، ق2 ، ص 352.

(2) المرجع نفسه، ص 352.

(3) أندري ميكال، المرجع السابق، ج4، ق 2 ، ص 341، تشير بعض الدراسات إلى أن الحضارة الإسلامية ساهمت في إنشاء أربعمائة و خمسون مدينة جديدة في العصر الوسيط، كما أن المسلمين أدخلوا تغييرات كثيرة على المدن القديمة في المناطق التي فتحوها، أنظر:

محمد محمود محمدين: المرجع السابق، ص 291.

(4) أندري ميكال : المرجع السابق ، ج4 ، ق2 ، ص 342.

(5) المرجع نفسه: ص ص 341،345، هذه المدن هي: قرطبة، الإسكندرية، الفسطاط، مكة المكرمة، المدينة المنورة، دمشق، البصرة، الكوفة، بغداد، الموصل، همذان، الري، أصبهان، شيراز، نيسابور، سمرقند وبخارى.

(6) أندري ميكال: جغرافية دار الإسلام ، ج4 ، ق2 ، 345.

انساق أندري ميكال وراء رأي المقدسي واعتبرها أنها المدن الكبيرة جدا في دار الإسلام، غير أنه يعود ليضع تصنيفا جديدا بلائحتين بسبع وعشرين مدينة أخرى، كان نصيب بلاد المغرب منها أربع مدن هي على الترتيب: القيروان في اللائحة الأولى، فاس، تاهرت وبالرمو في اللائحة الثانية، وهو تصنيف برره أندري ميكال بالنصوص التي طالعها خلافا لنصوص المقدسي[1].

ثم يناقش أندري ميكال موضوع آخر متصل بموضوع المدينة، وهو موضوع طرق البناء، فعاد إلى النقاش الذي دار بين المسلمين الأوائل حول موضوع البناء وحدوده في الإسلام بين الحاجة الشرعية " دار الرجل دنياه" والدعوة العالمية التي حملها الإسلام لتعمير الأرض، وبين الإسراف والتبذير، مستشهدا بالنقاش الذي دار بين أبي ذر الغفاري و معاوية بن أبي سفيان عندما ابتنى هذا الأخير قصر الخضراء[2]، ليؤكد أندري ميكال أن النصر كان لصالح الفريق الأول، وهذا ما تجلى في المنجزات العمرانية الهائلة في دار الإسلام والتي أثارت إعجاب أندري ميكال، كالجوامع الفخمة والكنائس البديعة والقناطر الجميلة، في مصر والعراق والشام وفارس[3].

ثم عرج أندري ميكال على مواد البناء[4]، فقد اعتبر المسلمين كانوا يستعملون أربع مواد أساسية في البناء؛ الحجارة، الطوب، اللبن والآجر، وهي تستعمل في البناء ببلاد المغرب، غير أن أندري ميكال يلاحظ قلة البناء في الطين، وكثرة البناء بالحجارة الخشنة أو المكسية في ساحل تونس وصقلية والأندلس[5]، ويعتمد في ذلك على ملاحظات ابن حوقل حول سور

---

(1) أندري ميكال : جغرافية دار الإسلام ، ج4، ق2 ،، ص ص: 345،346.

(2) نفسه: ص ص: 536،537.

(3) نفسه: ص 537، ولا ندري لماذا تجاهل أندري ميكال بلاد المغرب هنا؟

(4) نفسه: ص 538، رغم أن العنوان الذي وضعه أندري ميكال هو طريقة البناء إلى أنه خلال الصفحات التي تلت هذا العنوان ركز على المواد المستعملة في البناء دون أي ذكر لتقنيات و طرق البناء في دار الإسلام.

(5) نفسه: ص538.

مدينة سرت المنيع الذي بُني بالطين والطابية[1]، وملاحظات المقدسي حول أسوار مدن تونس التي يغلب عليها الحجر[2]، ويرى أندري ميكال أن الطابية وهي خليط من الطين والقش خاصة ببلاد المغرب[3]، غير أن أندري ميكال لم تستوقفه أي ملاحظة عن نمط بناء البيوت وأثاثها في بلاد المغرب[4]

جـ / مرافق المدينة الإسلامية:

يتعرض أندري ميكال للمرافق التي يراها أساسية في المدينة الإسلامية، وهي جملة المرافق التي يؤدي اختلالها أو ضعفها إلى تدهور المدينة أو خرابها، ويرى أن بينها " ترابط تعاوني وثيق"[5]، وسنحاول تتبع دور هذه المرافق في مدن الغرب الإسلامي بالتحديد.

د / المزارع المحيطة بالمدينة: يرى أندري ميكال أن المزارع المحيطة بالمدينة ضرورية جدا لبقائها، فهي التي تضمن تموين المدينة بالغذاء الضروري لسكانها، وقد أشار إلى أهميتها من خلال مدينة بونة[6]، التي أكد بن حوقل أن **بها فواكه وبساتين قريبة، وأكثر فواكهها من باديتها و القمح و الشعير في أكثر أوقاتها كما لا قدر له**[7].

هـ / المياه: يشير أندري ميكال إلى الماء كميزة و مشكل في الوقت نفسه، فهو ميزة للمدن التي تتزود بمصادر دائمة للمياه كالعيون أو الأنهار، وهو مشكل للمدن التي تقع في نطاقات الجفاف، وهنا أشار إلى بعض مدن الغرب الإسلامي التي واجهت مشاكل في التزود بالمياه، على غرار القيروان وسرت وصبرة[8]، التي كانت تتزود بالمياه عبر المواجن[1] التي أشار

---

(1) ابن حوقل، المصدر السابق، ص 68.

(2) المقدسي: المصدر السابق، ص 213، المدن التي أشار إليها المقدسي هي على التوالي: سوسة، سفاقص، المهدية وبنزرت.

(3) أندري ميكال: جغرافية دار الإسلام، ج4 ، ق2 ، ص 538، الهامش.

(4) نفسه: ص ص : 544-546.

(5) نفسه: ص 389.

(6) عنابة حاليا.

(7) بن حوقل: المصدر السابق ، ص ص : 69-70.

(8) صبراته حاليا.

إليها ابن حوقل، والتي تجمع فيها مياه الأمطار[2]، لكنه غير مأمون العاقبة رغم أنه يلبى حاجات هذه المدن[3]

هـ / الأبواب و الأسوار: وهي تمثل ضرورات الأمن والدفاع، وهنا أشار أندري ميكال إلى مدينة تاهرت ذات الأبواب الثلاثة، ومدينة القيروان التي وصل تعداد أبوابها إلى خمسة عشر[4].

و / أحياء المدينة: حاول فيه أندري ميكال التركيز على المكونات العرقية في المدن، وهنا لفت انتباهه وجود حي لليهود في بالرمو، وأحياء لليهود والنصارى في مدينة قابس[5]

ز / الأسواق: وهي تعكس حسب أندري ميكال حيوية المدينة، وهنا عدد أهم الأحياء التي ضمتها القيروان[6]، والتي حددها المقدسي بالتفصيل عند وصفه لجامع القيروان[7]، حيث ذكر المقدسي مجموعة من الأبواب ذكر منها ما يتعلق بأسواق كل حرفة، منها: باب الصرافين، باب الصباغين، باب اللحامين وباب سوق الخميس[8]

حـ / الجامع: يصفه أندري ميكال بأنه: " **نطاق الإيمان و تعبير جماعي و رسمي عنه**"[9]، حدد أندري ميكال أهميته بأنه مركز المدينة، وهنا يشير إلى جامع القيروان كأحد

---

(1) المواجين: قصاع كبيرة يتم تجميع الماء فيها.

(2) ابن حوقل: المصدر السابق، ص 68.

(3) أندري ميكال: المرجع السابق، ج4 ، ق2 ، ص 392، يذكر المقدسي أن أهل القيروان كانوا يشربون الماء من مواجين وصهاريج يجتمع فيها ماء المطر، وقد أجرى لهم المعز قناة من الجبل تمل المواجين بعدما تمر بقصره، أنظر: المقدسي: المصدر السابق ، ص 221.

(4) أندري ميكال: جغرافية دار الإسلام ، ج4 ، ق2 ، ص ص : 403،404.

(5) نفسه: ص 402.

(6) نفسه: ص 403.

(7) المقدسي: المصدر السابق ، ص ص : 224،225.

(8) نفسه: ص 212.

(9) أندري ميكال: جغرافية دار الإسلام ، ج4 ، ق2 ، ص413.

أكبر الجوامع في دار الإسلام[1]، والذي أبدع المقدسي في وصفه بقوله: "**الجامع بموضع يسمى السماط[2] الكبير، وسط الأسواق في سُرّه البلد أكبر من جامع بن طيلون (يقصد ابن طولون)، بأعمدة من رخام، مفروش وناره الرخام، ومزاريبه رصاص**" [3]

ط / المرافق الأخرى: وتشمل دار السلطة، المقابر والحمامات، وهي مرافق ضرورية لوجود المدينة و استمرارها، بداية بدار الإمارة أو السلطة، ثم المقابر وأخيرا الحمامات عنوان النظافة، وهنا لم يلفت انتباه أندري ميكال أي ملاحظة تخص بلاد الغرب الإسلامي[4]

3/ الحياة اليومية:

عقد أندري ميكال فصلا كاملا للحياة اليومية في دار الإسلام[5]، تعرض فيه لتفاصيل كثيرة تتعلق بالممارسات اليومية في دار الإسلام، وفي بداية هذا الفصل يتعرف أندري ميكال بصعوبة استخلاص وصف يومي دقيق خاصة في مجال الطعام لأن الجغرافيين العرب لم يتعرضوا لها بالوصف الدقيق[6]، وقد تناول اندري ميكال الحياة اليومية في دار الإسلام من خلال عناصر كثيرة سنحاول تعقبها في الغرب الإسلامي كما يلي:

أ / الطعام: يؤكد أندري ميكال في بداية حديثه عن تنوع الأطعمة في دار الإسلام، فبالإضافة إلى السمك، الخبز والأرز، عدد أندري ميكال عشرين نوعا من الأطعمة يتناولها الناس في دار الإسلام، منها المعجنات، المربيات والحلويات، مع إشارته أن لكل طعام منها أصناف محلية تتنوع في مختلف أقاليم دار الإسلام[7].

---

(1) أندري ميكال: جغرافية دار الإسلام ، ج4 ، ق2 ، ص 421.

(2) السماط : الصف، أنظر:

ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج 3، ص 245.

(3) المقدسي: المصدر السابق، ص 221.

(4) أندري ميكال: جغرافية دار الإسلام ، ج4 ، ق2 ، ص ص: 422،427.

(5) نفسه: ص، 471،521.

(6) نفسه: ص 471.

(7) المرجع نفسه: ص ص : 471،472.

ينتقل أندري ميكال بعدها إلى كيفيات اعداد الطعام، وهنا يتوقف عند ما نقله المقدسي عن أهل المغرب من انهم "**لا يسلخون الأغنام إذا شووها**"[1]، وملاحظة ابن حوقل عن بونه التي **قل من أهلها من تفوته الخيل السائمة للنتاج وليس للأكل**[2]، وهي ملاحظات تبدو غريبة، فنص ابن حوقل عن بونة يتضمن الإشارة إلى البقر و الماشية والعسل ويؤكد على كثرتها بما تزيد عليه على ما داناها من البلاد[3]، فلماذا الإشارة إلى لحم الخيل كطعام لسكانها؟، رغم وفرة مصادر اللحوم الأخرى كالماشية والبقر!، أما المقدسي فتتوال ملاحظاته الغربية عن طعام أهل المغرب، فهو يشير إلى لحم الكلاب التي تباع علنا في مدينتي قسطيلية ونفطة[4]، وهي ملاحظات قد نجد تفسيرها عند المقدسي نفسه، الذي يعلن وبشكل صريح تفضيله للشام على كل المغرب[5]، وهي أيضا تعزز موقف أندري ميكال الذي يعتقد أن المقدسي لم يزر المغرب أبدا[6].

ب / الاستشفاء : بدأ أندري ميكال بتحديد أهم وسائل وطرق العلاج مركزا على الأعشاب والحمامات المعدنية، خاصة في مصر وفلسطين و التي كان الناس يعالجون بها عددا من الأمراض الشائعة[7]، غير أنه لم يشر إلى أي منها في بلاد المغرب[1]، باستثناء ما أشار إليه ابن حوقل حول انتشار الجذام في بعض المناطق من دار الإسلام[2]، ويفسر ابن حوقل ذلك بـ " **قلة سطوة الشمس وتافه تحليلها على جسومهم**"[3]

---

(1) المقدسي: المصدر السابق ، ص ص: 238،239.

(2) ابن حوقل: المصدر السابق ، ص 76.

(3) نفسه، ص70.

(4) المقدسي: المصدر السابق ، ص 243.

(5) نفسه: ص 214، هنا يعبر المقدسي عن تعلقه بموطنه الأصلي الشام في معرض وصفه لتيهرت بقوله:" يفضلونها على دمشق وأخطئوا وعلى قرطبة وما أظنهم أصابوا، غير أنه متى يقاس المغرب بالشام، وأين مثل دمشق في الإسلام" .

(6) أندري ميكال: جغرافية دار الإسلام ، ج4 ، ق1 ، ص 105.

(7) نفسه: ص، 486،492 .

جـ / الهندام: يؤكد أندري ميكال في البداية على اهتمام المسلمين بالهندام في معناه الواسع الذي يشمل الألبسة والحلي التي شاع استعمالها في دار الإسلام[4]، التي قسمها حسب الهندام إلى ديار العرب و ديار العجم[5].

يتوقف أندري ميكال عند وصف ابن حوقل لأهل طرابلس الذين صفهم بأنهم "**قوم مرموقون من بين ما جاورهم بنظافة الثياب والأحوال متميزون بالتجمل في اللباس وحسن الصور**"[6]، ثم يعرج على ما سجله ابن حوقل على لباس الملثمين من صنهاجة الذين "**لم يُر لأحدهم ولا لصنهاجة مذ كانت من وجوههم غير عيونهم وذلك أنهم يتلثمون وهم أطفال وينشؤون على ذلك**" [7].

ويسجل أندري ميكال بعض الملاحظات " الشاذة " عن لياس اهل المغرب، ويتوقف هنا عند ما سجله ابن حوقل عن لباس أهل برقة[8]، يقول ابن حوقل في هذا الصدد:" **فأرض**

---

(1) يشير الحميري صاحب الروض المعطار في معرض حديثه عن جبل أمسيون المحيط ببجاية من جهة الشمال أن في أكنافه جمل من النبات المنتفع به في صناعة الطب و ذكر أسماء مجموعة منها، ورغم أن الحميري توفي سنة 727 هـ إلا إشارته للأعشاب البرية في بجاية تؤكد بما لا يدع مجالا للشك استعمالها في التداوي ببلاد المغرب، انظر:

محمد ابن عبد المنعم الحميري: الروض المِعطار في خبر الأقطار، ج 2، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، ب ت، ص ص: 80،81.

(2) أندري ميكال: جغرافية دار الإسلام ، ج4، ق2 ، ص 448.

(3) ابن حوقل: المصدر السابق، ص 37، غير أن ابن حوقل هنا كان يفسر انتشار الجذام في معرض حديثه عن أهل صنعاء.

(4) أندري ميكال: جغرافية دار الإسلام ، ج4، ق2 ،ص 493.

(5) يعتبر أندري ميكال بلاد المغرب ضمن ديار العرب، متفقا في ذلك مع المصادر العربية التي تؤكد على أنه بلاد المغرب من أقاليم العرب، رغم أن هذه المصادر تؤكد أن اغب سكان هذا الإقليم هم من البربر الذين وصفهم المقدسي بأنهم قوم لا يفهم لسانهم، أنظر:

المقدسي: المصدر السابق، ص 226.

(6) ابن حوقل: المصدر السابق، ص 69.

(7) نفسه: ص 102، ينقل ابن حوقل تفسيرا لهذه الظاهرة لا يخلو من غرابة، فحسب ابن حوقل تفسر هذه الظاهرة بأن هؤلاء القوم يعتقدون أن الفم عورة يجب سترها لأن ما يخرج من الفم أنتن مما يخرج من العورة! أنظر:

ابن حوقل: المصدر السابق، ص 102.

(8) أندري ميكال: جغرافية دار الإسلام ، ج4، ق2 ، ص 449.

برقة حمراء خلوقية التربة، وثياب أهلها أبدا محمرة، ويعرف أهلها بالفسطاط من بين أهل المغرب بحمرة ثيابهم و تغيرهم"[1]، وهو نص هام من جهة إبراز طبيعة الهندام في بلاد المغرب، و من جهة أخرى في تأثير البيئة على السلوك، رغم بعض الغرابة في هذا النص الذي يربط الثياب الحمراء لأهل برقة بلون تربتها الأحمر!

ثم يعود أندري ميكال إلى نص المقدسي الذي أسهب في وصف لباس أهل المغرب بقوله: " **ويدخلون الحمامات بلا ميّازر إلا القليل، و بالمغرب رسومهم مصرية، إلا أنهم قل ما يَتَطَلسُون و كثيرا ما يجعلون الرداء بنطاقين ثم يطرحونه على ظهورهم مثل العباءة**[2]**، أصحاب قلانس**[3] **مصبغة، والبربر ببرانس سود، وأهل الرساتيق**[4] **بأكسية، والسوقة بمناديل**"[5]، والذي يفهم من هذا النص تنوع لباس أهل المغرب، بين البربر الذين يلبسون البرنس، والعرب الذين يبدو عليهم التأثير المصري واضحا حسب المقدسي.

د / العادات و التقاليد:

يعرج أندري ميكال على الاحتفال بالأعياد والمناسبات في دار الإسلام، ويتوقف عند عدد من نماذج الاحتفال خاصة في بلاد فارس[6]، ولم يشر إلى أي احتفال بالأعياد أو غيرها من المناسبات في بلاد المغرب، رغم أن ابن حوقل أشار إلى رباط المنستير الذي "**يقصده أهل افريقية لوقت من السنة فيقيمون به أياما معلومة و يحضر بفاخر الأطعمة و نفيس المآكل و يقيم به جمعهم مدة ثم يتفرقون إلى أوطانهم**"[7]، وهو شكل من أشكال الاحتفال

---

(1) ابن حوقل: المصدر السابق، ص 66.

(2) هذا الوصف يتطابق تماما مع البرنوس المشهور كلباس تقليدي في مناطق واسعة من بلاد المغرب إلى غاية اليوم.

(3) قلانس : جمع قلنسوة، وهي غطاء فوق الرأس.

(4) الرساتيق : جمع الرستاق، وهي كلمة فارسية تعني كل موضع فيه مزارع و قرى و لا يقال ذلك للمدن كالبصرة و بغداد، أنظر:

ياقوت الحموي: المصدر السابق، المجلد 1، ص 38.

(5) المقدسي: المصدر السابق، ص 221.

(6) أندري ميكال : جغرافية دار الإسلام ، ج4 ، ق2، ص ص: 510،516.

(7) ابن حوقل: المصدر السابق، ص 73.

رغم صبغته الدينية والجهادية. ثم ينتقل إلى وصف بعض الأعياد المسيحية التي يشارك المسلمون في الاحتفال بها مع المسيحيين خاصة في بلاد الشام[1]، وهنا لم يرد أي ذكر لبلاد المغرب و هو أمر بديهي لأن المعتقدات المسيحية فيها اندثرت بعد الفتح الإسلامي.

[1] ابن حوقل : المصدر السابق ، ص 73.

الفصل الرابع:

منظور أندري ميكال الاقتصادي حول بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن 4هـ/10م

1/ الموارد الطبيعية:

أ/ المياه. ب/ المعادن.

2/النشاط الزراعي:

أ/ الحبوب ب/ محاصيل النسيج.

جـ/ الفواكه.

3/ الحرف:

أ/ حرفة النسيج ب/ حرفة الزجاج و الخزف

جـ/ حرفة الدباغة و الجلود د/ الرقوق

4/ نشاط تجاري أم واقع اقتصادي:

أ/الطرق التجارية. ب/ المبادلات.

جـ/ العملة. د/ الموازيين و المكاييل.

تضمن هذا الفصل أهم الملاحظات الاقتصادية التي رصدها أندري ميكال حول بلاد المغرب إلى تمام القرن العاشر الميلادي/ الرابع الهجري، في شكل استعراض لأهم مجالات الجغرافيا الاقتصادية[1]، بما في ذلك المياه[2] والمعادن، باعتبارهما موارد لكل نشاط زراعي أو حرفي، و التي يصب إنتاجها في وعاء التجارة عبر الطرق الرابطة بيّن المدن و الأسواق.

1/ الموارد الطبيعية:

أ/ المياه:

لاحظ أندري ميكال أن مصنفات الجغرافيين الرحالة جعلت المغرب خالٍ من الأنهار، معتمدا في ذلك على نصي ابن حوقل والمقدسي في هذا الشأن[3].

بعد أن رصد أنهار الأندلس من خلال هؤلاء ، عرج بملاحظته على أنهار بلاد المغرب فقرر أن " عُرْضَها أفضل"[4]، مقارنة بأنهار الأندلس وصقلية، و هي الملاحظة التي لم يخفها ابن حوقل لبذي غالبا ما يتجاهل اسم النهر ، خاصة تلك التي تمتد على أطراف المدن [5].

ثم يحاول أندري رصد جغرافية الأنهار في بلاد المغرب، ويبدأ بنهر الزيز بسجلماسة[6] الذي وصفه ابن حوقل أنه: "**يزيد في الصيف كزيادة النيل في وقت كون الشمس في**

---

[1] الجغرافيا الاقتصادية فرع من فروع الجغرافيا البشرية، يهتم بدراسة وإنتاج وتوزيع وتبادل واستهلاك الثروات، وكذلك دراسة العوامل الاقتصادية التي تؤثر على الاختلافات السكانية لسطح الأرض، أنظر:

يوسف التوني: المرجع السابق، ص 154.

[2] خصص أندري ميكال مبحثا خاصا للمياه في بلاد المغرب، معتبرا أن المغرب يتميز بوضع عارض من ناحية المياه، أنظر:

أندري ميكال: جغرافية دار الإسلام ، ج 3، ق 1، ص 224-228.

[3] نفسه: ج 3، ق 1،ص 224.

[4] نفسه: ج 3، ق 1، ص 225.

[5] نفسه: ج 3، ق 1، ص 225.

[6] أحمد ابن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي: كتاب البلدان، تحقيق : محمد أمين ضناوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ب ت ، ص 198.

الجوزاء والسرطان والأسد"[1]، ثم يذكر بقية أنهار المغرب و روافدها: نهر سلا، نهر بورقرق، نهر سبو[2] الذي يمتاز بكثرة روافده، نهر إيناون[3] ونهر فاس الذي يعتبره اليعقوبي " أعظم من جميع أنهار الأرض"[4].

ثم ينتقل إلى نهر سفدد الذي وصفه ابن حوقل بأنه: " **واد كبير عظيم غزير الماء يحمل المراكب** "[5]، وهنا ينقل أندري ميكال ملاحظات ابن حوقل على هذا النهر من حيث صلاحيته للشرب وللملاحة، حتى أن أهل بصرة المغرب يحملون عليه مراكبهم إلى البحر المحيط[6]، و يختم وصفه لأنهار المغرب الأقصى بواد ممسون الذي يلتقي بواد ملوية و**يصبان جميعا إلى البحر ما بين جراوة أبي العيش و مليلة** على حد تعبير ابن حوقل[7].

يعرج أندري ميكال إلى وصف أنهار المغرب الأوسط بناء على ما دونه ابن حوقل من مشاهدات حولها[8]، فيتحدث عن وادي تفنا[9] الذي تحدث عنه ابن حوقل في معرض وصفه لمدينة ارجكوك التي تقع على **واد يعرف بـتافنا**[10]، و يبدو من وصف ابن حوقل

---

(1) ابن حوقل: المصدر السابق، ص 91، يصف اليعقوبي مدينة فاس بأنها مدينة افريقيا، ثم يصف نهرها بأنه أعظم من جميع أنهار الأرض، عيله ثلاثة ألاف رحى تطحن، وعلى ضفافه قرى وضياع ومزارع ، غير أن اليعقوبي كان هنا ناقلا لا شاهد عيّان، أنظر:

اليعقوبي: المصدر السابق، ص 197.

(2) يسميه ابن حوقل بنهر سبه (بالهاء)، ويصفه بأنه نهر عظيم الماء كثيره، ويؤكد أنه يلتقى بوادي فاس ويصبان معا في البحر، أنظر:

ابن حوقل: المصدر السابق، ص 88.

(3) يصفه ابن حوقل بأنه واد تمتد عليه عدة قرى ويبدو أنه غزير الماء، فقد وصف ابن حوقل قلعة كُرمَاطة التي تقع على مجرى إيناون بأن بها من الزرع والضرع والسائمة الكثير، أنظر:

ابن حوقل: المصدر السابق، ص 88.

(4) أندري ميكال: جغرافية دار الإسلام ، ج 3، ق 1، ص 226 .

(5) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص 79-80

(6) أندري ميكال : جغرافية دار الإسلام ، ج 3، ق 1، ص 226.

(7) ابن حوقل: جغرافية دار الإسلام ، ص ص: 88،89.

(8) أندري ميكال : جغرافية دار الإسلام ، ج 3، ق 1،ص 226.

(9) واد التافنة وهو المكان الذي شهد توقيع المعاهدة الشهيرة بين الأمير عبد القادر والجنرال بيجو .

(10) ابن حوقل: المصدر السابق، ص 78

لهذه المدينة إن واد تافنة كان غزير المياه، فهذه المدينة لها **بادية وخصب وسعة في الماشية**[1]، كما أن لأرجكوك هذه جزيرة فيها **مياه ومواجن كثيرة للمراكب وأهلها والمحتاجين إليها في سقي سوائمهم** [2]، و يشير أندري ميكال إلى وادي الصفاصف، الذي يعرف أيضا بوادي افكان الواقع جنوب غرب معسكر[3]، وقد اعتمد في ذلك على ابن حوقل الذي ينسب هذا الوادي إلى مدينة افكان التي **لها أرحية و حمامات و قصور و فواكه**[4]، ولهذه المدينة على واديها **أعمال عريضة و أجنة و مزارع**[5]، مما يؤكد أن وادي الصفاصف غزير المياه أيضا، أما وادي شلف ، فيعتبره أندري ميكال أهم بكثير من الأودية السابقة ، لأنه "**يسقي بساتين واسعة و أجنة و كرومًا ، و يفيض كما يفيض نيل مصر**"[6]، وقد اعتمد أندري ميكال في رأيه هذا على ابن حوقل الذي عدد المدن الواقعة على نهر الشلف و هي : شلف، سوق إبراهيم، بني واريفن، مليانة سوق كران، ويظهر من وصف ابن حوقل كثافة النشاط الزراعي في هذه المدن وفي المدن المرتبطة بها كمدينة تاجنة التي لها فواكه وتين عظيم، أو الخضراء وهي مدينة **على نهر ولها فواكه وسوانٍ وبها السفرجل المعتق**[7]، أو مليانة التي لها **أرحية على نهرها و سقي كثير من واديها و لها حظ من نهر شلف**[8].

---

(1) ابن حوقل ، المصدر السابق، ص 70.

(2) نفسه، ص70.

(3) أندري ميكال: جغرافية دار الإسلام ، ج 3، ق 1، ص 226

(4) ابن حوقل: المصدر السابق ، ص 89.

(5) نفسه، ص90.

(6) أندري ميكال: جغرافية دار الإسلام ، ج 3، ق 1، ص 226 .

(7) ابن حوقل: المصدر السابق ، ص 90، وقد اعتمد أندري ميكال على وصف اليعقوبي لواد الشلف، أنظر: أندري ميكال، جغرافية دار الإسلام ، ج3 ، ق 2، ص 226.

(8) . ابن حوقل: المصدر السابق ، ص 90.

يذكر أندري ميكال إلى وادي المالح الذي يرجح أنه يصب في شط الحُضنة[1]، رغم أن ابن حوقل أشار فقط إلى موقعه بين مسيلة وأشير[2]، و قد برر رأيه بأن الإشارة إلى الملح كان المقصود بها شط الحضنة[3]، ويختتم أندري ميكال جولته في أنهار المغرب الأوسط بوادي سهر[4]في المسيلة (يعرف الآن بوادي القصب) واعتمد في وصفه على ابن حوقل الذي أكد أن فيه **ماء عظيم منبسط على وجه الأرض وليس بالعميق ولهم عليه كروم وأجنة كثيرة تزيد عن كفايتهم وحاجتهم ولهم من السفرجل المعنّق ما يحمل إلى القيروان**[5]، ويظهر من خلال هذا الوصف أن وادي القصب كان إقليما زراعيا مزدهرا إلى غاية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي على الأقل.

ويبدأ أندري ميكال ملاحظاته حول أنهار إفريقية بنهر قرنة الذي ينسب إلى مدينة قرنة[6]، معتمدا على المقدسي الذي أكد أنها **تُسمى باسم نهر فيها حلو**[7]، لكنه يرى أنه نهر يمتد في شمال غرب تونس الحالية وقد يكون الملغيغ أو مجردة أو أحد روافدهما[8]، ويختم ملاحظاته بالحديث عن وادي السراويل القريب من القيروان والذي يجري فيه ماء مالح لأنه يصب في سباخ مرجحا أن يكون واد الزرود المعروف[9]، معتمدا في ذلك على اليعقوبي الذي يصفه بأنه واد **يأتي فيه ماء مالح لأنه في سباخ الناس يستعملونه فيما يحتاجونه إليه**[10].

---

(1) أندري ميكال: جغرافية دار الإسلام ، ج 3، ق 1ص 226

(2) ابن حوقل: المصدر السابق ، ص 88.

(3) اندري ميكال: جغرافية دار الإسلام ، ج 3، ق 1ص 436 (الهامش 1003).

(4) أشار إليه البكري بسَهْر، أنظر:

البكري، المصدر السابق،ج2، ص 239.

(5) ابن حوقل: المصدر السابق، ص 85.

(6) أندري ميكال: جغرافية دار الإسلام ، ج 3، ق 1ص 226.

(7) المقدسي: المصدر السابق، ص 213.

(8) أندري ميكال: جغرافية دار الإسلام ، ج 3، ق1 ، ص 226

(9) نفسه: ص 227.

(10) اليعقوبي: المصدر السابق، ص 186.

يعتبر أندري ميكال أن وادي السراويل آخر نهر في بلاد المغرب، إذ لا يرد ذكر لأنهار أخرى بعده إلى غاية مصر[1]، وهو يؤكد أن **الماء لا يُشاهد باتجاه الشرق بعد قابس وهي آخر المدن التي يبدو الماء فيها نهرا**[2] ، و قد بنى ملاحظته هذه على ابن حوقل الذي لا حظ بدوره أن جادة الطريق بين قابس والقيروان **ذات مياه جارية و أشجار متهدلة و فاكهة رخيصة**[3]، والمقدسي الذي وصف قابس و**أهلها بأن لهم واد جرار**[4].

يرى أندري ميكال أن الجزء الشرقي من بلاد المغرب والممتد من طرابلس الغرب إلى مصر " لا يعرف سوى المطر"[5]، ويتهم اليعقوبي وابن حوقل بالصمت إزاء موضوع المياه في بلاد المغرب رغم اعترافه أنهما أوسع الجغرافيين اطلاعا على الشبكة المائية في بلاد المغرب[6].

ب/المعادن:

يبدأ أندري ميكال حديثه عن المعادن بالتأكيد على وفرتها في مختلف أقاليم دار الإسلام[7]، دون تفصيل فيما يتعلق بهذه الوفرة في بلاد المغرب، رغم أن الجغرافيين الرحالة أشاروا إلى وجود ثروة معدنية معتبرة هذا الإقليم، من هؤلاء ابن حوقل الذي أشار إلى وجود

---

(1) أندري ميكال: جغرافية دار الإسلام ، ج 3، ق1 ،ص 227.

(2) نفسه ، ص 227.

(3) ابن حوقل: المصدر السابق، ص 70.

(4) أندري ميكال: جغرافية دار الإسلام ، ج 3، ق1 ، ص247 (الهامش)، وهو يسميه بواد جرار دون أن يدقق هل هي تسميته أم أن المقدسي يقصد بعبارته واديا غزير المياه، ونحن نذهب إلى أنه واد غزير المياه، فالمقدسي يصف قابس بأنها كثيرة النخل والأعناب والتفاح، وهذا ما يؤكد غزارة المياه في هذا الوادي، انظر:

المقدسي: المصدر السابق، ص 211.

(5) أندري ميكال: جغرافية دار الإسلام ، ج 3، ق1 ، ص247.

(6) هذا موقف غريب من أندري ميكال، فابن حوقل و اليعقوبي قدما معلومات هامة حول أنهار بلاد المغرب وهذا قياسا بالوسائل والإمكانيات المتاحة أمام كل منهما في عصره، بل نجده يوجه الاتهام لليعقوبي بأنه اهتم بأنهار المغرب الأقصى لأنه بلد الأدارسة، ويتهم ابن حوقل بأن له أغراض تجارية طغت على وصفه لأنهار بلاد المغرب جعلته يصف الأنهار التي تقع فقط في نطاق الطرق التجارية، ويلمح إلى أن هذا الوصف كان لحساب الفاطميين المتعاطف معهم، أنظر:

أندري ميكال، جغرافية دار الإسلام ، ج 3، ق1 ، ص ص: 227،228.

(7) نفسه ، ج4، ق2 ، ص 552.

الحديد في العديد من مدن بلاد المغرب، مثل بونة التي **بها معادن حديد كثيرة و يحمل منه إلى الأقطار الغزير الكثير**[1]، ومجانة التي بها **معادن حديد و فضة**[2]، والأربس التي **بها معدن الحديد**[3]، ورغم تعدد الإشارات إلى وفرة الحديد إلا أننا نتفق مع أندري ميكال بخصوص غياب أي إشارة إلى تقنيات استخراجه.

أما المرجان فقد أشار ابن حوقل إلى وجوده في مرسى الخرز وهي **قرية غير أنها نبيلة لمكان المرجان و حضور من يحضرها من التجار ولا أعرف في شيء من البحار نظيرا له** ويشير ابن حوقل في ذات النص إلى وجوده بكميات قليلة و بجودة أقل في تنس وسبتة[4]، غير أننا نعثر على نص للمقدسي يوضح تقنيات استخراج المرجان، يقول المقدسي أن صيادي المرجان **يخرجون إلى جمعه في قوارب ومعهم صلبان من خشب قد لفوا عليها شيئا من الكتان المحلول وربطوا في كل صليب حبلين يأخذهما رجلان فيرميان بالصليب ويدير النواتي القارب فيتعلق بالقرن ثم يجذبونهفمنهم من يخرج بعشرة آلاف إلى عشرة دراهم ثم يجلى في أسواق لهم و يباع جزافا رخيصا**[5]

أما الأندلس فقد أشار ابن حوقل إلى غناها بمعادن الزئبق والحديد والرصاص[6]، ورغم هذا التنوع والوفرة إلا أن ابن حوقل لم يشر إلى تقنيات استخراج هذه المعادن ولا إلى أماكن المناجم التي استخرجت منها.

2/ النشاط الزراعي:

يبدأ أندري ميكال دراسته للنشاط الزراعي في دار الإسلام بمحاولة بالتأكيد على أن الحبوب– القمح تحديدا– تسيطر على أكبر مساحة في الحقل[1]، خاصة مع تأكيد

---

(1) ابن حوقل: المصدر السابق، ص 76.

(2) نفسه، ص 76.

(3) نفسه: ص 87.

(4) نفسه: ص 87.

(5) المقدسي: المصدر السابق، ص 222.

(6) ابن حوقل: المصدر السابق، ص 114.

الجغرافيين الرحالة على أنها تنتشر في معظم أنحاء دار الإسلام[2]، و يعزوا أندري ميكال إلى أن الحبوب هي " سيدة جميع الزروع، لا بسعة حقولها فحسب، بل أيضا بمرتبتها في تدرج قيم المزروعات، لأن صفاتها تسمح لها بتغذية البشر في الأماكن التي تعجز النباتات الأخرى عن تقديم القوت لهم"[3].

وبالمقابل: لا شيء في الدنيا أروع من الثمرة الناضجة[4]، هكذا يرى أندري ميكال مكانة الأشجار المثمرة في زراعة دار الإسلام، فهو يرى أن أبدع المزارع الحقيقة بشجرها وثمرها، وفي الصحراء، لا تكتمل الواحة إلا بثلاث عناصر : الماء الذي يجب أن يغمرها كلها، الزرع الذي يغطي ترابها أفقيا، والأشجار التي يجب أن تنتصب فوقها شاقوليا[5]

أ/ الحبوب:

تبرز أهمية القمح حسب أندري ميكال في كثرة وروده في مصنفات الجغرافيين الرحالة، والذين أشاروا إلى انتشاره في كل أنحاء دار الإسلام[6]، وفي حديثه عن أنواع القمح، أشار أندري ميكال إلى ما ذكره ابن حوقل عن قمح سجلماسة الذي **يزرع بمائه حسب زروع مصر في الفلاحة وربما زرعوا سنة عن بذرو حصدوا ما راع من زرعه وتواترت السنون بالمياه فكلما أغدقت تلك الأرض سنة في عقب أخرى حصدوه إلى سبع سنين بسُنبل لا يشبه**

---

(1) أندري ميكال: جغرافية دار الإسلام ، ج 3 ق2، ص 142.

(2) نفسه، ص 143.

(3) نفسه ، ص 143.

(4) نفسه، ص 171.

(5) نفسه، ص 117.

(6) نفسه: ص 144، أشار ابن حوقل إلى انتشار القمح والشعير في بلاد المغرب بدرجات متفاوتة، فقد سجل الانتشار الكبير لزراعة القمح والشعير في المغرب الأقصى والأوسط، بينما قلت إشاراته لزراعتهما في افريقية (المغرب الأدنى)، أنظر:

ابن حوقل، المصدر السابق، ص 77 وما بعدها.

سنبل الحنطة ولا الشعير بحب صلب المكسر لذيذ المطعم و خلقه ما بين القمح والشعير[1]

وقد سجل أندري ميكال إلحاح ابن حوقل على انتشار الشعير في بلاد المغرب[2]، ففي معرض وصفه لطعام أهل جبل نفوسة بطرابلس الغرب (ليبيا)، أكد ابن حوقل بأن **أكثر زروعهم الشعير، وإياه يأكلون**[3]، ويؤكد أندري ميكال في نهاية ملاحظاته حول الحبوب على خلو بلاد المغرب من الأرز[4]، بينما أشار إلى وجود الذرة أو الدخن على تخوم الصحراء الكبرى وليبيا[5]

ب/ محاصيل النسيج[6]:

بدأ أندري ميكال بالقنب الذي أشار إلى انتشار زراعته في مدينة تونس والسوس الأقصى[7]، معتمدا في ذلك على ما دونه ابن حوقل في هذا الشأن[8]، أما الكتان فقد نوه أندري ميكال بمكانته، معتبرا أن زراعته منتشرة في معظم بلاد المغرب[9]، معتمدا في ذلك على ملاحظات ابن حوقل الذي أكد أن بونة **يزرع بها الكتان**[10]، وسبيبة المدينة الأزلية التي **يزرع بها الكتان**[11].

---

(1) ابن حوقل: المصدر السابق، ص 91.

(2) أندري ميكال: جغرافية دار الإسلام ، ج3، ق2، ص 147

(3) ابن حوقل: المصدر السابق ، ص 94.

(4) أندري ميكال: جغرافية دار الإسلام ، ج3، ق2، ص 147.

(5) نفسه: ص 149.

(6) اعتبر أندري ميكال كلا من: القنب، الكتان القطن النيل والزعفران محاصيل نسيجية لأنها تستغل في صناعة النسيج.

(7) نفسه: ص 167.

(8) ابن حوقل: المصدر السابق، ص 74، ص 91، وهنا يشير ابن حوقل إلى انتشار القِنَبْ.

(9) أندري ميكال: جغرافية دار الإسلام ، ج3، ق2، ص 167.

(10) ابن حوقل: المصدر السابق، ص 76.

(11) نفسه: ص 84.

أما القطن الذي أثبتت النصوص الجغرافية انتشاره في جميع الأراضي المزروعة[1]، فابن حوقل أشار إلى انتشار زراعته في العديد من المواضع في بلاد المغرب ، كتونس التي **من غلاتها القطن ويحمل إلى القيروان فيظهر الانتفاع به**[2]، ويسجل ابن حوقل انتشار زراعته على امتداد بلاد المغرب و يذكر في سبيل ذلك مدنا بعينها: بونة، البصرة، طبنة، المسيلة، كُرْت، ماسيته وبصرة المغرب[3]، غير أنه من الواضح ارتباط زراعة القطن بالمناطق التي تعرف وفرة في مخزون المياه.

يضاف إلى هذا الزعفران الذي يستغل كمُلون للقماش[4]، واعتبر أندري ميكال شرق المغرب من أشهر الأصقاع التي عرفت بزراعته، وقد اعتمد في رأيه هذه على "خريطة النصوص الجغرافية" [5]، دون أن يشير إلى نص محدد[6]

جـ/ الفواكه:

يؤكد أندري ميكال أن الجغرافيين الرحالة ركزوا على وصف "الوسط الذي يحوله الإنسان، ويقصد به الشجرة المثمرة التي تعتبر جزء مهما من البستان الذي يشمل الحبوب والبقول أيضا [7]، وفيما يخص انتشار الأشجار المثمرة في دار الإسلام، فلم يذكر بلاد

---

(1) أندري ميكال: جغرافية دار الإسلام ، ج3، ق2، ص 168.

(2) ابن حوقل: المصدر السابق، ص 74.

(3) نفسه: ص 74 وما بعدها

(4) أندري ميكال: جغرافية دار الإسلام ، ج3، ق2، ص 167، هنا أشار أندري ميكال إلى بعض المحاصيل التي تستغل كملونات للقماش، وذكر منها: الحنة، رس اليمن، البقم، العصفر والزعفران الذي يتراوح بين الأصفر البرتقالي.

(5) نفسه، ص 170.

(6) يشير ابن حوقل إلى انتشار زراعة الزعفران بمجانة، الأربس، أبه (غرب الأربس) والتي بها من الزعفران ما يضاهي ما بالأربس في الكثرة و الجودة، ويظهر أن زراعة الزعفران قد انتشرت وتوسعت في المغرب الأوسط، أنظر:
ابن حوقل: المصدر السابق، ص ص: 84،88.

(7) أندري ميكال: جغرافية دار الإسلام ، ج3، ق2، ص 171.

المغرب ضمن المناطق التي تقل أو تنعدم فيها الأشجار المثمرة لقسوة المناخ أو التربة باستثناء بعض الأماكن في الأندلس[1].

يبدأ أندري ميكال ملاحظاته عن الأشجار المثمرة في بلاد المغرب بالسفرجل المعنق الذي هو أحد أصناف السفرجل[2]، الذي أمعن ابن حوقل في الثناء عليه، خاصة السفرجل المعنق في تنس الذي أثار إعجاب ابن حوقل **لحسنه و نعمته و حلاوته و طيب رائحته** [3]، وفي المسيلة التي بها **من السفرجل المعنق ما يحمل إلى القيروان**[4]، علاوة على مدن اخرى اشتهرت بزراعة السفرجل المعنق ، كالخضراء[5] وبرشك وهما من مدن المغرب الأقصى[6].

ثم يتعرض أندري ميكال إلى فاكهة أخرى وهي الإجاص الذي تنتشر زراعته من خراسان إلى طرابلس الغرب [7]، ثم يشير إلى المشمش الذي يعرف في بلاد المغرب بالبرقوق[8]، بالإضافة إلى الفرسك وهو الخوخ الذي كان يزرع على نطاق ضيق في طرابلس الغرب[9]، وشاهده ابن حوقل على الطريق بين طرابلس والقيروان في مدية صبره التي **بها من الفواكه الطيبة اللذيذة الجيدة القليلة الشبه بالمغرب وغيره كالخوخ الفرسك والكُمثرى اللذين لا شبه لهما بمكان**[10]، وأما التين فقد أشار أندري ميكال إلى أنه ينمو في جميع الأماكن من الأندلس إلى بحر الخزر[11]، و قد أشارت المصنفات الجغرافية إلى ذلك بشكل عام على

---

[1] أندري ميكال: جغرافية دار الإسلام ، ج3، ق2 ، ص 172.

[2] نفسه: ص 174.

[3] ابن حوقل: المصدر نفسه، ص 77.

[4] نفسه: ص 85.

[5] نفسه: ص 90.

[6] نفسه: ص 77.

[7] أندري ميكال: جغرافية دار الإسلام ، ج3، ق2، ص 175 .

[8] نفسه ، ص 175.

[9] نفسه، ص 175.

[10] ابن حوقل: المصدر السابق، ص 69.

[11] أندري ميكال: جغرافية دار الإسلام ، ج3،ق2، ص 176 .

غرار المقدسي الذي أكد أن المغرب **قد غاب في الزيتون مدنه و بالتين و الكرمات (جمع كرمة) أرضه**[1] ، أو بشكل خاص كابن حوقل الذي أكد وجود مزارع التين في جزائر بني مزغناي[2]، مرسى الدجاج[3]، وسوق إبراهيم[4]، وبالنسبة إلى الرّمان، فقد أكد أندري ميكال أنه منتشر بكثرة على طول بلاد الإسلام[5]، وكذلك الشأن بالنسبة للجوز واللوز اللذين أكد أندري ميكال وجود زراعتهما في بلاد المغرب[6]، وبالنسبة للتفاح، فقد أشارت المصنفات الجغرافية إلى وجوده في طرابلس و تونس[7]، وهنا اعتمد أندري ميكال على ما دونه المقدسي الذي أكد أن **طرابلس مدينة كثيرة التفاح**[8]، ونفس الوصف أطلقة على مدينة قابس[9]

أما الزيتون، فقد توقف أندري ميكال عند أهميته الدينية أولا[10]، ثم يتوقف طويلا عند انتشار الزيتون في بلاد المغرب، فيبدأ بملاحظة المقدسي الذي قال عن المغرب بانه **قد غاب في الزيتون مدنه**[11]، ويستعين بابن حوقل الذي لاحظ أن الزيتون يشكل جل غلات سفاقس، وأشاد بجودة زيتها[12] بالمقدسي مرة أخرى ليشير إلى وفرة الزيت في القيروان[13]، وكثرة معاصره في بلاد المغرب، فقد لاحظ المقدسي أن بمدينة بنونش ثلاثمائة وستون

---

(1) المقدسي: المصدر السابق، ص 208.

(2) ابن حوقل: المصدر السابق، ص 76.

(3) نفسه، ص76.

(4) نفسه، ص 90.

(5) أندري ميكال: جغرافية دار الإسلام ، ج3، ق2، ص 177.

(6) نفسه، ص ص :178،177.

(7) نفسه، ص 181 .

(8) المقدسي: المصدر السابق، ص 211.

(9) نفسه، ص 211.

(10) أندري ميكال: جغرافية دار الإسلام، ج3 ق2، ص ص: 182،181.

(11) المقدسي: المصدر السابق ، ص 208.

(12) ابن حوقل: المصدر السابق ، ص 70.

(13) المقدسي : المصدر السابق، ص 211.

معصرة زيت[1]، ويؤكد أندري ميكال أن الزيت كان سلعة رائجة في القرن الرابع الهجري /العاشر ميلادي[2]، دليله في ذلك ابن حوقل الذي استغرب ارتفاع أسعار زيت سفاقس الذي كان يُجلب إلى مصر[3]، وختم أندري ميكال ملاحظاته حول الزيتون بالتأكيد على أنه رمز حضارة البحر المتوسط الذي تنتشر بقوة ضمن إقليمه المناخي[4]

اعتبر أندري ميكال أن الكرمة و النخلة من أفضل الأشجار في دار الإسلام مع منحه النخلة الأفضلية على حساب الكرمة التي تعددت أسماؤها[5] ، لكنه يبدأ بالكرمة التي يشير إلى أنها تحتاج إلى حد أدنى من الماء[6]، وهذا ما يفسر حسب ابن حوقل انعدام الكرم على تخوم الصحراء الكبرى في بلاد المغرب و بالتحديد في سفاقس التي يقول عنها أنها **قليلة الكروم**[7]، ويتساءل أندري ميكال عن سر انتشار الكرمة في دار الإسلام رغم أن الإسلام حرم شرب الخمر.

يخصص أندري ميكال فقرة كاملة لانتشار الكروم في الغرب الإسلامي[8]، فالأندلس مشهورة بها، وهي كثيرة في صقلية[9]، أما في بلاد المغرب فقد استعان أندري ميكال مرة أخرى بعبارة المقدسي الشهيرة عن المغرب **الذي غاب في الزيتون مدنه و بالتين و الكرمات**

---

(1) المقدسي: المصدر السابق ، ص 213.

(2) أندري ميكال: جغرافية دار الإسلام ، ج3، ق2، ص 182.

(3) ابن حوقل: المصدر السابق، ص 70، غير أن أندري ميكال يربط سبب ارتفاع أسعار الزيت في مصر بالظروف السياسية التي تمثلت في فتح الفاطميين لمصر، أنظر:

أندري ميكال: جغرافية دار الإسلام ، ج3 ق2، ص 343 (الهامش 2420)

(4) نفسه، ص 182، ويربط أندري ميكال ملاحظته هذه بالإشارة إلى فقر جنوب المغرب (المقابل للمحيط الأطلسي) ، ومستعينا بعبارة ابن حوقل الذي أكد عن بربر جنوب المغرب أنهم لم يروا قط حاضرة ولا عرفوا غير البادية العازبة، أنظر:

أندري ميكال: جغرافية دار الإسلام ج3 ق2، ص 343 (الهامش 2421)

(5) نفسه، ص 183.

(6) نفسه، ص 183.

(7) ابن حوقل: المصدر السابق، ص 71.

(8) أندري ميكال: جغرافية دار الإسلام ، ج3 ق2، ص 185.

(9) نفسه: ص185.

أرضه[1]، ويحدد أندري ميكال انتشار الكروم في بلاد المغرب في الشمال خاصة الجزائر التي تنمو الكرمة في العديد من أنحائها: وادي شلف[2]، شرشال[3] ومسيلة[4]، وفي شرق بلاد المغرب، يحدد أندري ميكال انتشار الكروم على الساحل التونسي في سفاقس التي أشار ابن حوقل إلى قلة الكروم فيها[5]، وقابس والقيروان التي أشار المقدسي إلى كثرة الأعناب فيهما[6]، أما في أقصى بلاد المغرب، فزراعة الكروم تمتد إلى سجلماسة على حدود الصحراء الكبرى[7].

ويضاف إلى الكروم منتوج الزبيب، باعتبار الزبيب عنبا مجففا بغض النظر عن طريقة تجفيفه[8]، ويعتمد أندري ميكال على مصنفات الجغرافيين في تحديد مناطق انتشاره في بلاد المغرب ؛التي أشار المقدسي إلى كثرته في القيروان[9]، وفي سجلماسة جنوب المغرب الأقصى[10]، ويختم أندري ميكال ملاحظاته بالإشارة إلى الخمر باعتباره أحد منتجات الكروم، و يسجل خلو أي ملاحظة للمصنفين الجغرافيين حول استهلاكه أو تجارته في بلاد المغرب[11].

---

(1) المقدسي: المصدر السابق، ص 208.

(2) أشار ابن حوقل إلى أن الكروم تنتشر في قرية بني واريفن على وادي شلف، أنظر: ابن حوقل: المصدر السابق، ص89.

(3) نفسه: ص 77.

(4) نفسه: ص 85.

(5) نفسه: ص 71.

(6) المقدسي: المصدر السابق ، ص 211.

(7) ابن حوقل: المصدر السابق، ص ص: 90،93.

(8) أندري ميكال: جغرافية دار الإسلام، ج3،ق2، ص 189.

(9) المقدسي: المصدر السابق، ص 211.

(10) المقدسي : المصدر السابق ، ص 216.

(11) أندري ميكال: جغرافية دار الإسلام، ج3،ق2، ص 190، أشار ابن حوقل إلى ظاهرة شرب نبيذ العسل في مرسى الخرز، ويتهم ابن حوقل العاملين في استخراج المرجان بـ"الخلاعة و لهم بها مكاسب وافرة وينتبذون نبيذ العسل فيشربونه من يومه و يٌسكرهم الإسكار العظيم و يعمل من الصداع ما لايعمله نبيذ الذّرة و غيره من الأشربة" ، أنظر: ابن حوقل، المصدر السابق، ص 75.

وأما النخيل، ففي بداية حديثه عنه، يعقد مقارنة تفضيلية بينه وبين الكروم والتي خلص فيها إلى عظمة النخيل باعتبار النخلة رمزا للإسلام ويُقر مع هذا بانتشارها في جميع أقاليم دار الإسلام[1].

يؤكد أندري ميكال أن النخيل نُقِل إلى بلاد المغرب حتى صار النخيل أكثر انتشارا في هذا الإقليم أكثر من غيره خلال القرن الراع الهجري /العاشر الميلادي[2]، وقد بنى رأيه هذا على ملاحظات الجغرافيين العرب الذين أكدوا أن التمور تُحمل من فاس وسجلماسة، وأشادوا برطب سجلماسة وحلاوته[3]، كما و يؤكد الرحالة أيضا وجوده في جنوب تونس وفي واحات ليبيا و على سواحل سرت دون الإشارة إلى جودته أو نوعيته[4].

3/ الحرف:[5]

قبل الشروع في ملاحظاته حول النشاط الصناعي في دار الإسلام، يحدد أندري ميكال مبدأ هاما سيعتمد عليه في تعامله مع هذا النشاط ، هذا المبدأ يتلخص في الاعتماد على ملاحظات المقدسي وابن حوقل حول الإمكانيات الزراعية والمعدنية لكل " بلد"، إذ يربط أندري ميكال بين درجة ازدهار النشاط الصناعي وبين توافر هذه الإمكانيات في البلد أو الإقليم[6]

---

(1) أندري ميكال: جغرافية دار الإسلام، ج3،ق2، ص ص: 190،194.

(2) نفسه، ص 195.

(3) وصف ابن حوقل تمر سجلماسة بأنه رطب أخضر من السلق في غاية الحلاوة ، بينما أكد المقدسي أن في فاس نهر قد غاب في النخيل أنظر:

ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص 91.

المقدسي: المصدر السابق، ص 215.

(4) لفت انتباه ابن حوقل انتشار النخيل في سرت و جزرتي أوجلة وودان، أما المقدسي فقد أشار إلى وجوده في القيروان وصبره و قابس أنظر:

ابن حوقل، المصدر السابق ، ص 67. المقدسي، المصدر السابق، ص211.

(5) تناول أندري ميكال هذا النشاط ضمن ملاحظاته عن الحرف في دار الإسلام ، أنظر:

جغرافية دار الإسلام، ج4 ، ق 2، ص ص: 309،327.

(6) نفسه ، ص309.

يشرع أندري ميكال في وضع ما أسماه بلوحة الحرف في دار الإسلام[1]، ويبدأ وصف هذه اللوحة من المغرب التي يصفها بأنها بلاد الزيت، نظرا لكثرة معاصر الزيت بها[2]، ثم يشير إلى اختصاص المغرب باستخراج المرجان[3]، ويختم أندري ميكال هذه المرحلة بقطران برقة الذي تنفرد بتجارته[4].

ثم يواصل أندري ميكال رحلته في وصف لوحة الحرف في دار الإسلام، وبعد أن عرج على باقي أقاليم دار الإسلام ، يعود مرة أخرى إلى بلاد المغرب، فيحاول رصد أهم معالم النشاط الصناعي فيه وفق ما يأتي

أ / حرفة النسيج: يبدأ أندري ميكال حديثه عن النسيج في بلاد المغرب بالإشارة إلى الملونات التي تستعمل في صباغة الثياب وهي: القرمز، الزعفران، النيل والفوة ، مع تأكيده على وفرة الزعفران في المغرب الشرقي[5]، وهذا ما يفسر به أندري ميكال انتشار الصناعة

---

(1) أندري ميكال : جغرافية دار الإسلام، ج4 ، ق 2، ص 312.

(2) نفسه، ص 309، ويربط أندري ميكال ملاحظته بعبارة المقدسي الشهيرة عن المغرب بأنه قد " غاب في الزيتون مدنه"، ومدونه عن القيروان وكثرة الزيت بها، ويستعين أيضا بان حوقل الذي أشار غلى وفرة الزيت في سفاقس وقابس، أنظر:
المقدسي، المصدر السابق ، ص 208 ، ص 211.
ابن حوقل ، المصدر نفسه ، ص70.

(3) أندري ميكال: جغرافية دار الإسلام، ج4، ص 309، وقد اعتمد أندري ميكال على ما سجله المقدسي عن عملية استخراج المرجان في مرسى الخرز والتي أشرنا إليها سابقا ، رغم أن ابن حوقل أشار إلى جودة مرجان مرسى الخرز مقارنة بغيره ، غير أن الغريب أننا لا نجد أي أثر لصناعة المجوهرات أو الحلي في كتبهما.

(4) نفسه: ص309، وقد اعتمد على ابن حوقل الذي وصف برقة بأنها تنفرد بتجارة القطران، ويبدو أن أندري ميكال قد دفع أندري ميكال إلى الجزم بأن برقة مركز صناعة القطران في بلاد المغرب، أنظر:
ابن حوقل، المصدر السابق، ص 67.

(5) أندري ميكال: جغرافية دار الإسلام، ج4، ص 551، أشرنا في بداية هذا الفصل إلى مناطق انتشار الزعفران في بلاد المغرب.

النسيجية في أجدابيا ولبدة المشهورتان بالأكسية الفاخرة[1]، وقابس التي تصنع فيها المنسوجات الحريرية [2]، ومدينة البصرة المغربية التي اشتهرت بصناعتها القطنية[3].

ب/ الزجاج والخزف: يعتمد أندري ميكال هنا على ما دونه ابن حوقل حول تونس[4]، التي سجل أن أهلها "**يعملون غُضارا حسن الصباغ و خزفا حسناً كالعراقي**"[5]، ويشهد اعتراف ابن حوقل على مدى تقدم هذا النمط من الصناعة في بلاد المغرب، ولا ندري لماذا لم يدون ابن حوقل عنه في مناطق أخرى من بلاد المغرب؟.

جـ/ الدباغة و الجلود: يعتمد أندري ميكال على إشارة ابن حوقل بجلود قابس[6] التي "**تدبغ بالقرظ فتأتي بطيب الرائحة و نعومة الملمس**"[7]، ويبدو أن هذه الصناعة لم تكن واسعة الانتشار، حتى أن بن حوقل ذكر أن جلود برقة تحمل إلى مصر لدبغها[8]، رغم أن قابس أقرب.

د / صناعة الرقوق: يبدأ أندري ميكال بالحديث عن المنافسة الشديدة في الصناعة الورقية بين بُردي مصر وبَربِير صقلية و ورق سمرقند[9]، ثم يلتفت إلى دخول رقوق المغرب إلى المنافسة معتمدا في ذلك على المقدسي الذي لاحظ عن أهل المغرب أن **كل مصاحفهم**

---

[1] ابن حوقل: المصدر السابق، ص67، أشار ابن حوقل إلى أن أجدابية تصدر الأكسية المقاربة وشقة الصوف، وأشار في موضع آخر إلى أن طرابلس بها الجهاز الكثير من الصوف وتخرج طيقان الأكسية الفاخرة الزرق، وهذا ما يجعل طرابلس أيضا مركزا من مراكز الصناعة النسيجية في بلاد المغرب.

[2] نفسه، ص 73، و قد أكد ابن حوقل على أن قابس يعمل بها الحرير الكثير و بها الجهاز الكثير من الصوف.

[3] نفسه، ص 80.

[4] أندري ميكال: جغرافية دار الإسلام، ج4 ، ق2 ، ص 556.

[5] ابن حوقل: المصدر السابق، ص 73.

[6] أندري ميكال: جغرافية دار الإسلام، ج4، ق2 ، ص 560.

[7] ابن حوقل: المصدر السابق، ص 73.

[8] نفسه: ص 67.

[9] أندري ميكال: جغرافية دار الإسلام، ج4 ، ق2 ، ص 560.

ودفاترهم مكتوبة على رُقوق[1]، ونسجل هنا غياب أي إشارة غلى انتشار هذه الرقوق خارج بلاد المغرب إذ أن المقدسي هو الوحيد الذي تحدث عنها.

4/ نشاط تجاري أم واقع اقتصادي:

تطرق أندري ميكال للنشاط التجاري في بلاد المغرب في ضوء دراسته للتجارة في دار الإسلام عامة، وقد توزعت ملاحظاته على هذا النشاط في مواضع متعددة ترتبط بنشاط التجارة؛ الطرق التجارية، أصناف المبادلات التجارية، الموازين والمكاييل وأخيرا الضرائب والمكوس.

أ/ الطرق التجارية:

لاحظ أندري ميكال أن بلاد المغرب ترتبط بالأندلس عبر التجارة البحرية، ولهذا الغرض سجل بروز العديد من المدن الساحلية في بلاد المغرب و التي اعتبرها مراكز تجارية – بنادر– و موانئ ذات أهمية بالغة، وذكر منها: طنجة، سبتة، نكور، مليلة، أرجكوك، وهران، تنس، شرشال، الجزائر، مرسى الدجاج، مرسى بني جناد، جيجل، بونة، طبرقة والمهدية بتونس[2]، لكن أندري ميكال لم يسجل أهمية لهذه المدن سوى ارتباطها بتجارة الأندلس رغم موقعها الذي يتوسط بلاد المشرق والأندلس[3].

أما الطرق التجارية البرية، فقط قسمها أندري ميكال إلى ثلاث طرق تجارية رئيسية، وقبل أن يبدا في تحديدها، يشير أندري ميكال إلى أهمية طرق الصحراء الكبرى التي ينقل

---

(1) المقدسي: المصدر السابق، ص 221.

(2) أندري ميكال: جغرافية دار الإسلام، ج4، ق 1، ص 244 ، وقد سجل أندري ميكال ملاحظاته هذه بناء على ما ذكره ابن حوقل و المقدسي.

(3) تناولت دراسات عديدة الأهمية التجارية لموانى بلاد المغرب خاصة في علاقتها بالأندلس، أنظر:

Vincent LAGARDERE, **le commerce des céréales entre AL-ANDALUS et le MAGHREB aux XI et XII siècles, in l Occident musulman et l Occident chrétien aux moyen âges** (colloque) , publication de la Faculté des Lettres ,Rabat, Maroc, 1 ère éditions , 1995 , p p : 123 , 150.

عبرها "الذهب والرقيق والتمور و منتجات أخرى"[1]، والتي تتحكم فيها مراكز تجارية كبرى تتجمع فيها القوافل الآتية من بلاد السودان وهي سجلماسة، القيروان، طرابلس و برقة[2].

يبدأ أندري ميكال تحديده للطرق التجارية في بلاد المغرب بالطريق الساحلي الذي يشمل المدن الساحلية و الموانئ التي أشار إليها سابقا ، حيث يمتد هذا الطريق بموازاة الساحل وتنقل عبره السلع الآتية من الأندلس، والطريق الثاني فيمتد من المغرب الجنوبي إلى تونس مباشرة ويسير بمحاذاة الصحراء الكبرى، أما الطريق الثالث فيمتد من فاس إلى تونس ويمر عبر تاهرت و مسيلة[3]، وتجتمع هذه الطرق في القيروان ثم يسير عبرها التجار إلى طرابلس وسرت عبر الساحل ثم إلى برقة وصولا إلى مصر[4].

ب/ المبادلات التجارية:

يرى أندري ميكال أن المغرب هامشي على خلاف الأندلس، ويبرر ذلك أن مصنفات الجغرافيين لم تفرد لتجارة المغرب مصنفات أو فصولا خاصة به، وأن ما جاء عن التجارة فيه كان في إطار الوصف العام له[5]، ويرى أندري ميكال أن المبادلات التجارية في بلاد المغرب تقتصر على " الأعناب و التين والزيتون في تونس، والتمور والجلود والأسلحة في طرابلس وواحات ليبيا، بالاضافة إلى الكتان ومعادن الفضة الحديد والرصاص و البغال البربرية[6].

---

(1) أندري ميكال: جغرافية دار الإسلام، ج4، ق 1،، ص 248.

(2) نفسه: ص 248.

(3) نفسه : ص 248، وانظر الملحق رقم (3) ص 80 من هذه المذكرة.

(4) نفسه : ص248، وقد حدد أندري ميكال هذه الطرق بناء على ما سجله ابن حوقل و المقدسي، ويشير إلى إن هذه الطرق متصلة ببعضها عبر طرق عرضية.

(5) نفسه: ص 287.

(6) نفسه: ص 287.

يعود أندري ميكال إلى الحديث عن أصناف المبادلات التجارية عند حديثه عن طرق القوافل بين الصحراء الكبرى و بلاد المغرب[1]، التي ينقل عبرها التجار "الرقيق والذهب والتمور ومنتجات أخرى"[2]، وتظهر أهمية هذا النوع من التجارة لدى اندري ميكال الذي خصص مساحة كبيرة للحديث عن طرقها و أماكن توزيعها.

جـ/ العُملة:

يربط أندري ميكال العملة بالمبادلات التجارية من خلال أمرين في غاية الأهمية:

أولا – لأن التجارة تعتمد على العملة أكثر من اعتمادها على المقايضة في دار الإسلام خلال القرن الرابع الهجري/العاشر للميلاد[3].

ثانيا– يعتبر أندري ميكال أن التغييرات التي طرأت على العملة جزءا من التجارة في دار الإسلام [4].

ولإبراز تأثير العملة في المبادلات التجارية، يستشهد أندري ميكال بنص لابن حوقل الذي ذكر أنه رأى بأودغست صكا يتضمن دينا لتجار من سجلماسة قدر باثنين وأربعين ألف دينار[5]، وهذا ما اعتبره أندري ميكال شكلا من أشكال التنظيم المصرفي[6].

د/ الموازين والمكاييل :

يباشر أندري ميكال حديثه عن الضرائب من خلال دورها في الحياة الاقتصادية والسياسية للدولة باعتبارها مصدرا أساسيا في مداخيل الدولة، غير أنه يربطها بالنشاط التجاري لأنه كان المصدر الأول من مصادر الضرائب و أكثرها دخلا[7]، ويعتمد على ابن

---

(1) أندري ميكال: جغرافية دار الإسلام، ج4، ق 1، ص 247.

(2) نفسه، ص 247.

(3) نفسه: ص 280.

(4) نفسه: ص 327.

(5) ابن حوقل: المصدر السابق ، ص 61.

(6) أندري ميكال: جغرافية دار الاسلام، ج 4، ق 2 ، ص 339.

(7) نفسه: ص ص: 331،332.

حوقل الذي حدد الانشطة التجارية التي كانت تخضع للضرائب وهي: القوافل التجارية، تجارة الرقيق، الأقمشة، ونشاطات الاستيراد والتصدير[1]، ويختم أندري ميكال ملاحظاته عن الضرائب ببلاد المغرب بالإشارة إلى دورها في اثراء خزينة الدولة معتمدا فيذلك على ابن حوقل الذي أكد أن حصيلة الضرائب سنة ثلاثمائة و ستين هجرية بلغت حسب ما نقل إليه بين سبعمائة و ثمانمائة ألف دينار[2].

وفيما يتعلق بالموازين والمكاييل، فقد أشار أندري ميكال إلى تنوعها عبر أقاليم دار الإسلام، وقد اعتمد في ذلك على ما دونه المقدسي الذي وصف هذه المكاييل والموازين في أقاليم دار الإسلام ومنها بلاد المغرب [3]، ورغم أن اندري ميكال تجاهل الإشارة إلى المكاييل والموازين في بلاد المغرب رغم أن المقدسي وصفها بدقة فتحدث عن البغدادي في الموازين والقفيز في المكاييل[4]

[1]أندري ميكال: جغرافية دار الإسلام، ج4، ق1 ، ص ص : 332،333، يحيل أندري ميكال على ابن حوقل الذي أشار إلى كيفيات تحصيل الضرائب والمكوس على هذه الأنشطة في بلاد المغرب، انظر:

أندري ميكال: جغرافية دار الإسلام، ج4، ق 1،، ص69 ، ص96، 97ص.

[2] ابن حوقل: المصدر السابق ، ص 96.

[3] أندري ميكال: جغرافية دار الإسلام، ج4، ص 336.

[4] المقدسي: المصدر السابق، ص ص :222،223.

خاتمة

خـــاتـــمة

بعد جرد ملاحظات أندري ميكال عن المجتمع والاقتصاد في بلاد المغرب إلى غاية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وبعد مطابقتها مع أفكار المدرسة الاستشراقية ومدرسة الحوليات، وكذلك مع ما تضمنته المصادر الإسلامية، يمكن الخروج بالنتائج التالية:

كان تأثر أندري ميكال واضحا بالمنهج الشمولي الذي سلكته الجغرافية البشرية العربية خاصة في ظل المدرسة الكلاسيكية للقرن الربع الهجري/العاشر الميلادي ، وقد برز هذا التأثير بوضوح في كتابه جغرافية دار الإسلام البشرية ، حيث تعامل مع هذه الجغرافية ككتلة واحدة ، رغم الاختلاف في المنهجي بينه و بين جغرافيي المدرسة الكلاسيكية ، الذين قسموا دار الإسلام إلى أقاليم.

رغم أن أندري ميكال كان أقرب إلى المنهج الشمولي للمدرسة الكلاسيكية العربية، إلا أنه تأثر بشكل ملموس بمنهج مدرسة الحوليات المدرسة ، و قد ظهر ذلك في كتابه جغرافية دار الإسلام البشرية، فالتطابق الذي يكاد يكون تاما بين ملاحظاته وآراء رواد هذه هذه المدرسة، خاصة مع آراء موريس لومبار حول بلاد الغرب في العصر الوسيط، باستثناء الاختلاف في مكانة بلاد المغرب ضمن دار الإسلام.

طغى الانطباع بهامشية بلاد المغرب على ملاحظات أندري ميكال الاجتماعية والاقتصادية، هذه الهامشية التي طبعت نص المسالك و الممالك في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي ، وتجسد في إهمال أندري ميكال لبلاد المغرب في معظم ملاحظاته عن دار الإسلام، فقد كانت ملاحظاته عن بلاد المغرب قليلة مقارنة بمكانتها في دار الإسلام وتنوعها الاجتماعي وإمكانياتها الاقتصادية، حتى أن أندري ميكال كان يسوق الأمثلة من بلاد المغرب لتبرير ملاحظاته عن دار الإسلام بشكل عام.

إن المصادر الإسلامية قدمت صورة سلبية عن البربر، من الناحية الأخلاقية، و مردُ ذلك إلى لوائح الأدب التي رسمها الأدباء العرب ، رغم أن بعض تلك المصادر حاول

الموازنة بين الصفات الحميدة والذميمة، وهنا يبرز ابن خلدون مؤرخ البربر الأول الذي دافع عن البربر معددا صفاتهم الحميدة، هذه الصورة ستؤثر أيضا على ملاحظات أندري ميكال كان أكثر ميلا للصورة السلبية، وبذلك تكون بلاد المغرب قد ظلمت مرتين، مرة على يد هذه المصادر، ومرة أخرى على يد الباحثين المعاصرين من أمثال أندري ميكال الذين اعتمدوا على هذه المصادر.

قدمت ملاحظات أندري ميكال صورة إيجابية عن المكانة التجارية لبلاد المغرب، هذه الصورة التي عززها موقف موريس لومبار الذي أثنى على أهمية بلاد المغرب كنقطة عبور بين أرجاء دار الإسلام خاصة في تجارة الرقيق و الذهب، غير إن هذه المكانة لم تستغل في الجانب الصناعي، لأن بلاد المغرب لم تستفد من التطور الصناعي الذي عرفه المشرق الإسلامي، رغم استمرار التواصل بين جناحي العالم الإسلامي.

ملاحق

ملحق رقم (1): يعكس قبائل البرانس

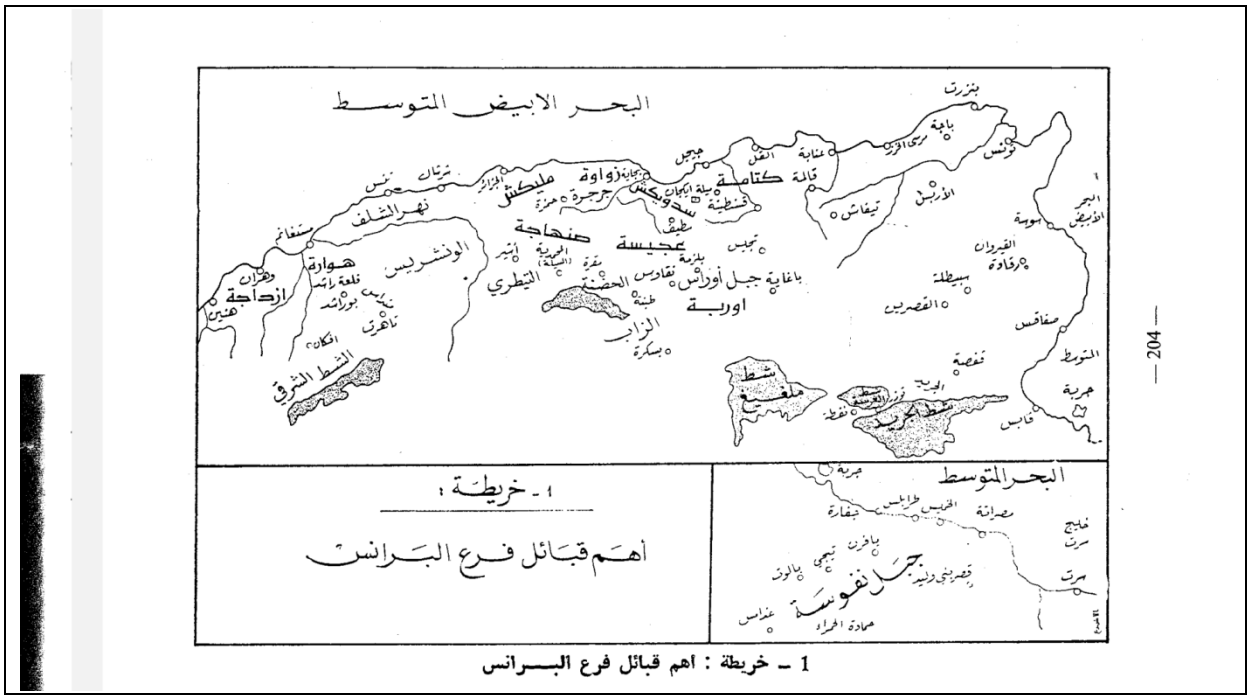

1 ـ خريطة : أهم قبائل فرع البـــرانس

— 204 —

المصدر : موسى لقبال ، المغرب الإسلامي ، ط2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1981 ، ص 204.

ملحق رقم (2): خريطة لأهم طرق تجارة الذهب في بلاد المغرب

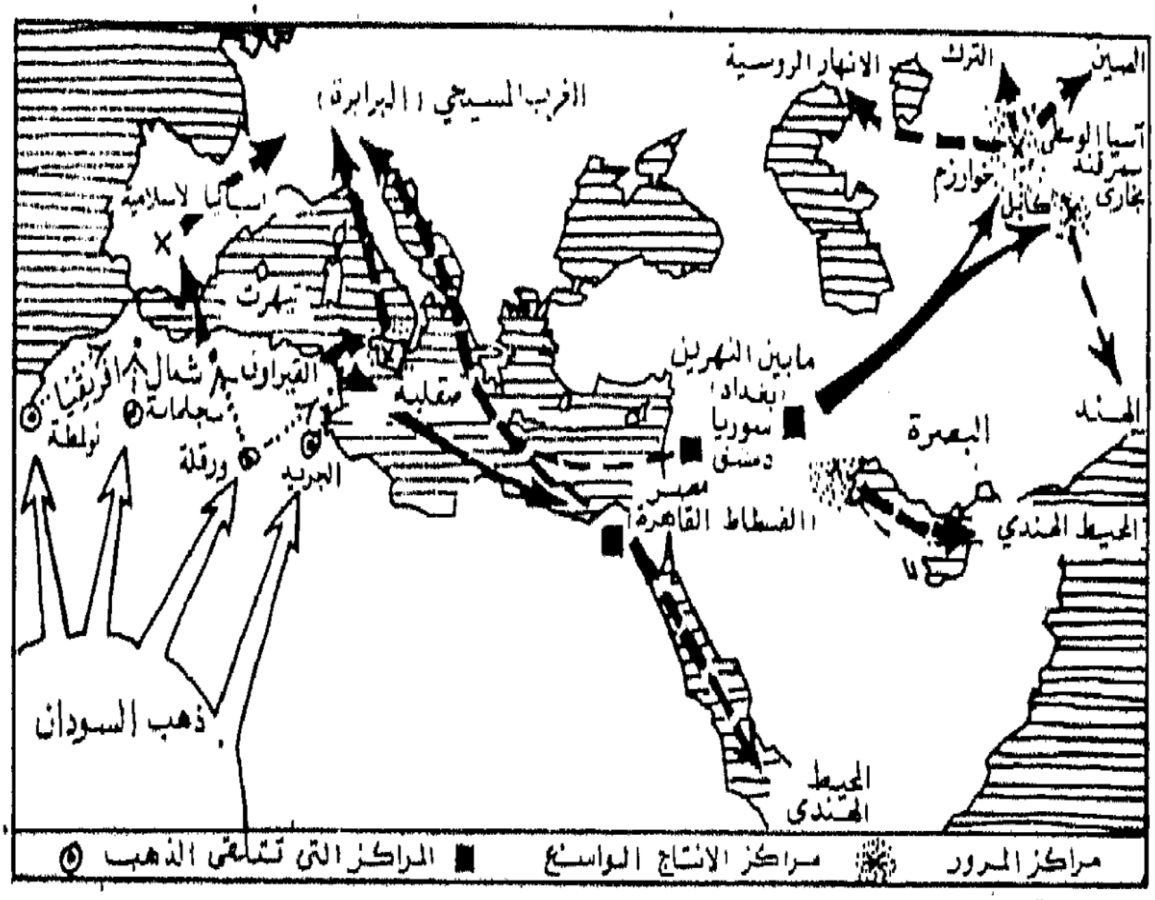

الشكل رقم ٩ ـ ذهب السودان

المصدر : موريس لومبار ، الإسلام في مجده الأول ، ص 176.

ملحق رقم (3) : جدول لأهم المتوجات الزراعية في بلاد المغرب حسب ما رصده ابن حوقل.

المدينة	المحاصيل الزراعية
اجدابية	الصوف
جزيرة أوجلة	التمور
جزيرة ودان	التمور
سرت	الإبل ، الغنم ، تمور، الصوف
طرابلس	الخوخ ، الكمثري ، الصوف .
قابس	الزيتون ، الزيت ، الصوف ، الحرير ، الجلود ، مواشي ،
سفاقس	الزيت، الزيتون ، السمك ،
المهدية	فواكه و غلات (دون تحديد)
سوسة	غلات واسعة (دون تحديد) ،
تونس	فواكه (دون تحديد) ، القطن ، القنب ، الكرويا ، العُصفر ، العسل ، السمن ، الحبوب ، الزيت ، الماشية
بنزرت	ثمار (دون تحديد)
باجة	قمح ، شعير ، غلات كثيرة (دون تحديد)
مرسى الخرز	السمك (دون الإشارة إلى المرجان)، قليلة الزرع (دون تحديد)
بونة	فواكه (دون تحديد)، قمح ، شعير، الكتان ، الغنم ، الصوف ، ماشية (دون تحديد) ، العسل ، الخيل ، البقر،
مرسى الدجاج	الفواكه (دون تحديد) ، القمح ، الشعير ، مواشي (دون تحديد) ، ألبان ، التين.
جزائر بني مزغناي	المواشي (بقر وغنم) ، العسل ، السمن ،التين،
برشك	فواكه (دون تحديد) ، سفرجل ، أعناب (دون تحديد) العسل.

تنس	فواكه حسنة (دون تحديد)، سفرجل معتق.
وهران	القمح ، الشعير ، المواشي (دون تحديد) ، جميع الفواكه .
واسلن	بساتين كثيرة (دون تحديد) ، ماشية
ارجكوك	الماشية
مليلة	زروع كثيرة (دون تحديد) ، حبوب ، غلات جسيمة (دون تحديد).
سبتة	بساتين و أجنة (دون تحديد)
طنجة	الزرع (حنطة ، شعير) ، حبوب (دون تحديد) .
زُلّول (أزيلي)	الزروع (دون تحديد) ، الحنطة ، الشعير
البصرة	القطن ، غلات كثيرة (القمح ، الشعير ، القطاني).
كُرت	القمح ، الشعير ، القطن.
ماسيته	القطن ، القمح ، الشعير.
سبيبه	كثيرة الفواكه (دون تحديد) ،الكمون ، الكرويا ، البقول، الكتان ، ماشية كثيرة (دون تحديد)
مجانة	الزعفران ، الزرع (دون تحديد).
مسكيانة	كثيرة الزرع (دون تحديد)، الحوت (السمك).
باغاي	الحنطة ، الشعير .
طبنة	زروع (دون تحديد) ، القطن ، الحنطة ، الشعير ، الكتان ، ماشية (بقر، غنم).
مسيلة	كروم ، أجنة كثير (دون تحديد) ، السفرجل المعنق ، القطن ،الحنطة ، الشعير ، المواشي (أنعام ، بقر)
تاهرت	الماشية (الغنم – البغال)، العسل ، السمن ، ضروب الغلات (دون تحديد).
جلولاء	بساتين كثيرة (دون تحديد) ، نخيل (تمور).

قرية أجر	القمح ، الشعير.
قرية طافجنة	الحنطة ، الشعير.
الأربس	غلات جلها الزعفران ، فواكه (دون تحديد)
تامديت	القمح ، الشعير
تيفاش	أجنة و بساتين (دون تحديد)
قصر الإفريقي	القمح ، الشعير
قرية أركوا	القمح ، الشعير ، غلات صالحة (دون تحديد).
قرية نمزودان	القمح ، الشعير.
قرية دكمة	القمح ، الشعير.
كرانطه	فواكه ، كروم ،.
قلعة كُرماطة	زرع و ضرع و سائمة كثير (دون تحديد).
مَزاوروا	القمح ، الشعير.
نرفانة	فواكه و كروم (دون تحديد)
قرية العلويين	فواكه عظيمة (دون تحديد)
تنمسان	فواكه و غلات عظيمة (دون تحديد).
قرية تاتانلوت	أجنة وفواكه (دون تحديد).
أفكان	فواكه (دون تحديد) ، أجنة و مزار (دون تحديد).
قرية المعسكر	أشجار و فواكه (دون تحديد).
عين الصفاصف	أشجار (دون تحديد).
بَلَل	فواكه (دون تحديد).
شلف	شجر و مزارع (دون تحديد)
تاجنة	فواكه (دون تحديد) ، التين.
بني واريفن	كروم (دون تحديد).

الخضراء	فواكه ، السفرجل المعنق.
سوق كران	فواكه و أجنة (دون تحديد) .
أشير	أجنة و مزارع (دون تحديد).
فاس	فواكه و غلات (دون تحديد).
سجلماسة	القمح ، التمور
السوس الأقصى	الأترج ، الجوز ، اللوز، التمور ، قصب السكر ، القنب ، السمسم ، سائر البقول (دون تحديد).

ملاحظة: حافظت خلال هذا الرصد على الترتيب الذي وضعه ابن حوقل دون مراعاة للتوزيع الجغرافي لبلاد المغرب.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع :

أولا – المصادر:

1- الإصطخري أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي : **مسالك الممالك (صورة الأرض)** ، مطبعة بريل ، ليدن ، هولندا ، 1927.

2- البكري أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري: المسالك و الممالك ، تحقيق جمال طلبة ، ج2، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت ، لبنان ، 1424هـ/2003 مـ.

3- الحموي ياقوت : **معجم البلدان** ، ج 1 ،دار صادر ، بيروت ، لبنان ، 1397هـ/1977.

4- الحميري محمد ابن عبد المنعم : **الروض المِعْطَار في خبر الأقطار** ، ج 2 ، تحقيق إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، ب ت.

5- ابن حوقل أبو القاسم النصيبي : **صورة الأرض(المسالك و الممالك)** ، مطبعة بريل ، ليدن ، هولندا ، 1938.

6- ابن خلدون عبد الرحمن : **تاريخ ابن خلدون (ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)** ،ج6، تحقيق : خليل شحاذة ، مراجعة ، سهيل زكار، دار الفكر للطباعة و النشر، بيروت ، لبنان ، (1421هـ/2000مـ).

7- ابن رسته ، أبو على أحمد بن عمر : **كتاب الأعلاق النفيسة** ، مجلد 7 ، منشورات مطبعة ليدن ، هولندا ، .1891

8- ابن عبدالحكم (تـ257هـ) : **فتوح مصر و المغرب** ، تحقيق : على محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، مصر، 1425هـ/2004مـ

9- الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب : **القاموس المحيط** ، تحقيق : مكتب التحقيق في مؤسسة الرسالة ، إشراف : محمد نعيم العرقسوسي ، ط8 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، (1426هـ/2005).

10- المراكشي ، أبو العباس أحمد بن محمد بن عذارى: **البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب**، ج1، تحقيق و تعليق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، تونس ط1 (1434هـ/2013مـ).

11- المقدسي محمد بن أحمد البشاري: **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**،مكتبة مدبولي ، القاهرة ، مصر ، ط3 ،1411هـ/1991مـ.

ثانيا – المراجع :

1- الكتب :

1-1 – بالعربية:

1- بدوي عبد الرحمن : **موسوعة المستشرقين**، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط3، 1993.

2- بروكلمان كارل : **تاريخ الأدب العربي** ، ج4، ترجمة عبد الحليم النجار ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ط5 ، ب ت.

3- التوني يوسف : **معجم المصطلحات الجغرافية** ، منشورات دار الفكر العربي ، دمشق ، سوريا 1977.

4- جوليان شارل أندري : **تاريخ إفريقيا الشمالية** ، تعريب : محمد مزالي و البشير بن سلامة ، الدار التونسية للنشر ، 1983.

5- حميدة عبد الرحمان : **أعلام الجغرافيين العرب و مقتطفات من آثارهم** ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، 1416 هـ/1995 مـ.

6- دوس فرانسوا : **التاريخ المفتت (من الحوليات إلى التاريخ الجديد)**، ترجمة : محمد الطاهر المنصوري ، مراجعة : جوزيف شريم ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، لبنان ، ط1، 2009.

7- سعيد ادوارد : **الاستشراق (المفاهيم الغربية للشرق)**، ترجمة محمد عناني ، دار رؤية للنشر و التوزيع ، ط1، القاهرة ، مصر ، 2006.

8- شاخت جوزيف و بوزروث كليفورد : **تراث الإسلام** ، ج1 ، ترجمة : محمد زهير السمهوري و آخرون، تعليق و تحقيق: شاكر مصطفى و فؤاد زكريا ، سلسلة عالم المعرفة ، عدد 11، منشورات المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، الكويت ،1978 .

9- الشرقاوي محمد عبد الله : **الاستشراق (تشكيل نظرة الغرب للإسلام)** ، دار البشير للثقافة و العلوم ، ط1، 1437 هـ / 2016م.

10- العروي عبد الله : **مفهوم التاريخ (الألفاظ و المذاهب والمفاهيم و الأصول)** ،ج1 ، ط5، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، 2012.

11- عمارة علاوة : **دراسات في تاريخ الجزائر الوسيط و الغرب الإسلامي** ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2008.

12- غوتيه إميل فليكس : **ماضي شمال إفريقيا** ، ترجمة هاشم الحسيني ، مؤسسة تاوالت الثقافية ، 2010.

13- كراتشكوفسكي أغناطيوس يوليانوفتش : **تاريخ الأدب الجغرافي العربي** ، ج1 ، ترجمة صلاح الدين هاشم ، مراجعة ايغور بليايف ، منشورات جامعة الدول العربية ، القاهرة ، مصر ، 1963.

14- موسى لقبال ، **المغرب الإسلامي** ، ط2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1981.

15- لوغوف جاك : **التاريخ الجديد** ، ترجمة: محمد الطاهر المنصوري ، مراجعة : عبد الحميد هنية ، منشورات المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2007.

16- لومبار موريس : **الإسلام في مجده الأول** ، ترجمة : إسماعيل العربي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ، ط1 ،1979.

17- ----------: **الجغرافيا التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى** ، ترجمة : عبد الرحمن حميدة ، دار الفكر، دمشق ، سوريا ، ط2 ، 1998.

18- متز آدم : **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام**، ج2 ، ترجمة : محمد الهادي أبوريدة ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، (1405 هـ/ 1986 مـ).

19- محمدين محمد محمود : **التراث الجغرافي الإسلامي**، دار العلوم للطباعة و النشر ، الرياض ، السعودية ، (1419هـ/ 1999مـ) ط3.

20- ميكال أندري : **الإسلام و حضارته ، ترجمة : زينب عبد العزيز** ، مراجعة : كمال الدين الحناوي ، منشورات المكتبة العصرية ، لبنان ، ب ت .

20- --------: **جغرافية دار الإسلام البشرية حتى منتصف القرن الحادي عشر**، الأجزاء 1،2،3،4، ترجمة : إبراهيم خوري ، منشورات وزارة الثقافة و الإرشاد القومي ، سوريا ، 1983،

21- --------: **وجبة المساء(يوميات دبلوماسي فرنسي في سجن مصري)** ، ترجمة : رشا صالح ، منشورات المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، مصر ط1 ، 2015.

22- ناجي عبد الجبار : **الإستشراق في التاريخ (الإشكاليات – الدوافع – التوجهات – الاهتمامات)** ، المركز الأكاديمي للأبحاث ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2013.

23- يفوت سالم : **حفريات الاستشراق (نقد العقل الاستشراقي)** ،ط1، منشورات المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، المغرب ، 1989.

24- ----- : **الزمان التاريخي (من التاريخ الكلي إلى التواريخ الفعلية)** ، دار الطليعة ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 1991.

25- هيجل : **محاضرات في فلسفة التاريخ**، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام ، ج1، دار التنوير للطباعة و النشر و التوزيع ، ط3 ، بيروت ، لبنان ، 2007.

1-2- بالفرنسية:

La civilisation des Arabes , éditions CASBAH :- Gustave Le Bon ,Alger , Algerie,2013.

2- الدراسات و المقالات:

2-1- بالعربية:

1- برامون دولوس : **<u>المغرب من خلال كتاب الجغرافيا لمحمد الزهري</u>** ، ترجمة فرحات الدشراوي ، مجلة دارسات اندلسية ، تونس ، العدد 3، جمادي الأول 1410هـ/ديسمبر 1989مـ.

2- بلقيدوم عبد الحق : **<u>الأدب الجغرافي العربي (المفهوم ، الأنماط و التطور)</u>** ، مجلة أنفاس الالكترونية.

3- رنيمة أحمد : **<u>مفهوم التاريخ لدى مدرسة الحوليات</u>** ، مجلة مقاربات فلسفية ، منشورات مخبر الفلسفة و العلوم الإنسانية ، قسم الفلسفة ،كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة عبد الحميد بن باديس ، مستغانم ، الجزائر ، مجلد 1 : عدد 1 جانفي 2014.

4- محمدين محمد محمود : **<u>مفهوم الإقليم و أسلوب دراسته عند عند المقدسي</u>** ، بحوث المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول ، مجلد 3 ، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، السعودية ، 1404هـ/1984مـ.

2-2- بالفرنسية:

le commerce des céréales entre AL- :- Vincent LAGARDERE **ANDALUS et le MAGHREB aux XI et XII siècles, in l Occident musulman et l Occident chrétien aux moyen âges** (colloque) , publication de la Faculté des Lettres ,Rabat , Maroc ,1 ère éditions , 1995.

فهرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات:

شكر وعرفان

مقدّمة ..... 2 ـ 6

الفصل الأول: المغرب الإسلامي في نص المسالك و الممالك 7- 16

1/ ماهية الأدب الجغرافي العربي.....8

2/ تطور نمط جغرافية المسالك و الممالك.....9

3/ موقع بلاد المغرب الإسلامي في نص المسالك و الممالك.....12

4/ هامشية بلاد المغرب الإسلامي في نص المسالك و الممالك.....15

الفصل الثاني: موقع ملاحظات أندري ميكال بين شمول المصادر الإسلامية ومناهج المدارس الحديثة.....17-33

1/ موقع منظور أندري ميكال حول الجغرافية البشرية ببلاد المغرب في المدرسة التاريخية الفرنسية.....18

أ / المؤثر الإغريقي.....18

ب / مؤثر مدرسة الحوليات.....24

2 / موقع منظور أندري ميكال حول الجغرافية البشرية ببلاد المغرب في المصادر الجغرافية الإسلامية.....27

ب / بنية المصادر الإسلامية (الإطار و المؤثر).....27

ب / مؤثر المنهج الشمولي في الجغرافية العربية.....31

الفصل الثالث: منظور أندري ميكال الاجتماعي حول بلاد المغرب الإسلامي في القرن 4هـ/10م.....34- 49

1 / البربر.....36

أ / أصل البربر.....36

ب / صفات البربر.....38

2 / المدن (الماهية و المواصفات).....42
أ / ماهية المدينة.....43
ب / المواصفات.....44
جـ/ مرافق المدينة الإسلامية.....46
د / المزارع المحيطة بالمدينة.....46
هـ / المياه.....46
و / الأبواب و الأسوار.....47
ز/ أحياء المدينة.....47
حـ /الأسواق.....47
طـ / الجامع.....47
ك / المرافق الأخرى.....48
3/ الحياة اليومية.....48
أ / الطعام.....48
ب / الاستشفاء.....49
جـ / الهندام.....50
د / العادات و التقاليد.....51
الفصل الرابع: منظور أندري ميكال الاقتصادي حول بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن 4هـ/10م.....53-73
1 / الموارد الطبيعية.....54
أ / المياه.....54
ب / المعادن.....58
2 / النشاط الزراعي.....59
أ / الحبوب.....60

ب / محاصيل النسيج.....61
جـ / الفواكه.....62
3 / الحرف.....67
أ / حرفة النسيج.....68
ب / حرفة الزجاج و الخزف.....69
جـ / حرفة الدباغة و الجلود.....69
د / صناعة الرقوق.....69
4 / نشاط تجاري أم واقع اقتصادي.....69
أ /الطرق التجارية.....70
ب / المبادلات التجارية.....71
جـ / العملة.....72
د / الموازين و المكاييل 72
خاتمة.....74-76
ملاحق.....77-83
ملحق رقم (1).....78
ملحق رقم (2).....79
ملحق رقم (3).....80-83
قائمة المصادر و المراجع.....84-89
فهرس الموضوعات.....90-93
الملخص .

الملخص:

ولد أندري ميكال سنة 1929 بفرنسا، وهو مؤرخ ومستعرب فرنسي متخصص في اللغة والأدب العربي، وقد كان له عديد الإسهامات العلمية خاصة كتابه الموسوعي الذي يقع في أربعة أجزاء: جغرافية دار الإسلام البشرية حتى منتصف القرن الحادي عشر الميلادي، والذي يعد من أهم المساهمات العلمية التي سلطت الضوء على تاريخ الأدب الجغرافي العربي في العصر الوسيط.

لقد تضمن هذا الكتاب العديد من الملاحظات عن المجتمع والاقتصاد في دار الإسلام عامة وبلاد المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط بصفة خاصة.

كلمات مفتاحية : أدب جغرافي ، أندري ميكال ، المغرب الإسلامي

Résumé:

André Miquel est né en 1929 en France, et il est connu dans les milieux scientifiques comme historien français et arabisant spécialiste de la langue et de la littérature arabes. Il a eu de nombreuses contributions scientifiques, notamment son livre encyclopédique, qui se compose de quatre parties : La géographie humaine du monde musulman jusqu'au milieu du XIe siècle a, qui est considérée comme l'une des contributions scientifiques les plus importantes qui éclairent l'histoire de la littérature géographique arabe au Moyen Âge. Ce livre comportait de nombreuses observations sur la société et l'économie de monde musulman en général et des pays du Maghreb islamique au Moyen Âge en particulier .

Mots-clés : littérature géographique, André Miquel, Maghreb islamique